فصول العشق الأربعة

الفصل الأول: الخريف

تعرفت عليه بأحد النوادي الصيفية.. شاب وسيم مفعم

بالحيوية، لبق الحديث، يرتدي ثيابا أنيقة، لديه مقومات الشاب الذي تتمناه كل فتاة، ابتسم لها عندما سقطت منها زهرة بيضاء فهي تعشق هذا اللون بالزهور، انحنى والتقطها، قدمها بكل ذوق وأدب، بالطريقة التي تحبها أي فتاة، بل ولا تستطيع أن تقاوم جاذبيتها، لم يكن هذا هو اللقاء الأخير بينهما، تعددت اللقاءات، تعارف عليها بشكل سريع، فهذه كانت مهمة سهلة بالنسبة له، إيقاع أي فتاة في شباكه، فالرجالُ أنواعٌ، وهو من ذلك النوعِ الصيادِ، الذي يختارُ فريستَه بسهولةٍ، خبير بتلك الأشياء، وبفترة قصيرة اعترف بإعجابه بها، فتاة جميلة رقيقة الملامح، جذابة، مثيرة بكل تفاصيلها ، تطورت العلاقة بينهما، أخذ أرقام تليفوناتها وحسابها الشخصي علي الفيس بوك.

ومن هنا بدأت الحكاية..

تسهر معه بشكل يومي، يتحدثان، يصف لها مشاعره تجاهها، ومدى إعجابه بها الذي تحول بعد قليل لكلمة أحبك..

اعتادت عليه وعلى أحاديثه،

أصبح جزءا من روتين حياتها، وبعد عدة أشهر من غرقها في بحور العشق والهوى، اختفى فجأة، مات اهتمامه بها، ابتعد عنها،

هي لا تعلم السبب!

بسذاجة طفلة ترسل له.. رسائل للاطمئنان عليه، خوفًا من إصابته بشيءٍ سيءٍ، يتجاهلها مرة تلو الأخرى، حزنت من أفعاله التي تصادفها لأول مرة، لم تكن فتاة ذات خبرة.. ببرائتها تحاول أن تعيده إليها كما كانت العلاقة سابقًا لكنه أهملها وإن ردّ عليها ردّ ببرود، بدأت تفهم ما يحدث،

ثارت كرامتها، انهارت قواها حتى وصلت لدرجة من اليأس، جعلتها تجلس وحيدةً بغير عادتها،

تتساقط دموعُها كأوراقِ الشجر في مهب رياحٍ خريفيةٍ شديدةٍ تهزها بعنف.

تعتاد الأمر لكن تلك الأيام لا تمحى من ذاكرتها أبدًا، تعيش على رفات الذكرى، تحتفظ بقنينتها بين أهداب عينيها، رموشها وسادة له ينام كل ليلة بين أحضانها، تهدهده وهو لعين لا يغفر الغياب له ،من كثرة إهماله وشدة قسوته عليها، تركها بعد أن تأكد تمامًا من أنها وقعت بحباله ، عشقته بجنون، يطلّ عليها بين الحين والآخر كمن يأتي ليطمئن على عذابها، يحتل كل تفكيرها، وكأنها تريد أن تتخلص من شعوره، ولكن الأوان قد فات، ترتاد الأزمة التي كانت بينهما لتجده هناك وحده بدونها، أو ربما مع أخرى، وهي وحيدة تنتظره، يأكل الندمُ أيامها، يمضغها على مهل، الآن أصبحت تعلم أنه ملّ كل شيء فيها، ضائعة ما بين أحلامها وأمنياتها وقلّة حيلتها.

تلعن الأيام التي جمعتها معه، كم مرة تهاونت معه، بدلا من قول كلمة لا، قالت أجل.

لا تصدق ما يحدث، كانت بينهما الكثير من المشاعر الجميلة، لا يهدأ لها بال إلا بعد أن يسمع صوتها تقابله بين الحين والآخر وردة جميلة، وهو يمتص رحيقها، تطاوعه حبًا وتقديرًا، وهو لا يعترف بذلك، بقرارة نفسه هي بالنسبة له فتاة للتسلية.

الفصل الثاني: الشتاء

ترتاد مدن الغياب، تتلحف بأثقل الذكريات معطفًا ليدفأ أوصال قلبها البارد، ويبدأ الصراع المعتاد الذي يأتي بعد انتهاء أي علاقة حب، ما بين الحنين والكبرياء، ذلك الذي يدفعها تراقبه من بعيد.

تدخل صفحته على الفيس بوك، لترى صديقاته الجدد، تأكل الغيرة قلبها، تقترب من حافة الجنون، صراع بين كبرياء وحنين،

ماذا تفعل؟

هل تسأل عنه؟

أو تتجاهله مثلما يفعل؟

عيون تفيض وتمتلئ من دموع العشق، وهو لا

يتذكرها الآن، أو بالأحرى يتهرب منها، تتحول الفتاة إلى مراهقة ضائعة، ضعيفة أمام أي كلمة ناعمة من أي رجل آخر، لكنها خائفة من تكرار التجربة، وتتحاشى السيء والجيد معًا، تتلاعب بها أمواج الحنين بمد وجزر وأمطار الاشتياق تغدقها لتغرقها، بين وحدتها لتعيش بعالمها الخاص، غرفتها وأحلامها هما بمثابة ملاذها الأخير.

الفصل الثالث: الربيع

أجمل فصول السنة، فيه تنبت الأشجار الميتة من جديد، وتتفتح الزهور، تعطر أجواء الحياة بعبيرها الفواح.

هي أيضًا تزهر من جديد، تتحدى الألم، تخرج من شرنقتها، تواجه الحياة ،بثوب جديد أكثر جدية، تهرب من تفكيرها، الذي أماتها وأحياها مرات عديدة على أبواب الحنين، لا تبالي بأي شيء،

تضحك كثيرًا بسبب وبدون سبب، تخرج مع أصدقائها لتلهو وتنسى، تثرثر كثيرًا، تتمنى أن تلقي بثقل الحكاية من على كاهل قلبها المحطم.

ترتدي ألوانًا زاهيةً وملفتةً، تضع مساحيق تجميل، تشتري ثيابا جديدة،

تحاول أن تفتحَ أبوابها للحب مرة أخرى، تعود ثقتها بنفسها تدريجيًا، تتلاشى الحكاية من داخلها، لم تعد تراقبه.

لم يعد هناك فرق أن تراه وحده أو مع أخرى، وضعته جانبًا ،من تفكيرها وحياتها لم تعد تلك الفتاة الساذجة.

التجربةُ قاسيةٌ عليها، تعلمتْ منها أشياء كثيرة، أهمها ألا تثق بأي شخص بسهولة، ألقت بكل هذا خلف ظهرها.

كوريقات وردة تتساقط واحدة تلو الأخرى، منحتها الفرصة للتنفس ببساطة كي تعيش من جديد.

الفصل الرابع: الصيف

يأتي محملًا بنسمات صيفية، تدفئ القلب والمشاعر، تلهو علي شاطىء أحلامها تنتظر حب جديد، يعوضها ما فات، هي الآن استعادت عافية قلبها، تمر الأيام في روتين وملل تعتاد غيابه،

ذات يومٍ بعد عودتها من الخارج في طريقها إلى غرفتها، مفعمةً بالحيوية، تمسك الهاتف لتدخل صفحتها الشخصية.. لتجد رسالة منه مصدومة لا تصدق عينيها!

ماذا يريد؟!

بعد هذه الفترة الطويلة من الإهمال، يدق الفرح قلبها، ولكنها فرحةٌ منكسرةٌ بعض الشيء، تتلعثم لا تعرف ماذا تفعل!

وأي طريق تسلك؟

ترتاد مدن الغياب وتتأقلم على الوضع!

أم مدن العشق والحب من جديد!

تماسكت.. قررت أن تفكر قبل أن ترد، تسترجع شريط ذكرياتها،

ماذا فعل بها ؟

كم مرة نامت غارقة في دموعها على وسادتها.. تنتظره، وهو غارق في حب فتاة أخرى،

هل تسامحه، وتعطيه فرصة جديدة؟!

أم تدير له ظهرها؟!

بالرغم من أنها تمنت أن ترد على رسالته، أو تعاتبه، بكلمة حنونة، لتعود له ولحبه، لكن ما شعرت به الفترة الماضية من ألمٍ وحزنٍ جعلها أقوى،

وفي النهاية قررت تتجاهله،

لكن تجاهلها جاء عمدًا، ليشرب من نفس الكأس التي سقاها منها،

وعلى الجانب الآخر كان هو يحاول محادثتها صوتيًا، وقد كانت لا ترد على مكالمته.

مرة وثانية وثالثة، لكن لا تجيب.. تشعر بانتصار بعد الهزيمة التي مرت بها، أحبت هذا الدور الذي تلعبه، بل وأتقنته، تضحك مع نفسها، وكلها يقين أنه الآن يشعر بوخز في كرامته ورجولته وغروره اللامتناهي..

تحدث نفسها.. هل تذكرتني الآن؟

أين كنت الفترة الماضية؟

كم مرة أرسلت لك رسالة وتجاهلتها لأجل واحدة أخرى؟!

أنا الآن لا أريدك، سأترك عالمك بإرادتي.

بالطبع كباقي الذكور، تؤلمه الهزيمة، بدأ يعود لاهتمامه الأول بها، بدأ يرجع لنقطة البداية.. عاد إلى كلمات الحب والغزل، ببساطة.. لم ترق له النهاية التي وضعتها، يحب أن يكمل القصة بطريقته، مغرور متعالٍ لا يتقبل أن يذل أمام امرأة.. هي تعلم عنه أشياء كثيرة، كم واحدة تركها بين دموعها منهارة، يحاول أن يستدرجها نحوه بوسامته، وكلماته المعسولة التي يعلم جيدًا أنها تقرأها وبعض الأغنيات الرومانسية ليرق قلبها له، وتعود حافية تتذلل لحبه، تمنت ذلك وبشدة، ولكن من رحم المعاناة يولد الأمل.. سأعيش بدونك يا من تركت له قلبي،

بكامل إرادتي وأكمل حياتي بعد أن أدركت وفهمت لماذا تمنحنا الحياة مواقف قاسية أحيانًا، فهناك من يتجاهلها وهناك من يدركها،

أما أنا.. فقد تعلمت الدرس.

لغز المرسم

الجزء الأول:

اعتادت سوزان أن تمر بشارع هادىء.. يميزه قصر كبير مهجور، تلتف الأشجار الكثيفة حوله..

لا يظهر منه إلا القليل، تمر به صباحًا فقط،

في المساء يغط في ظلام شديد.

ذات مساء خرجت مع صديقتها كارما، تتنزه بالسيارة، مر الوقت سريعًا، طلبت منها أن تُقلها للمنزل، في الطريق تذكرت ذلك الشارع وأشارت لها ثم قالت: ادخلي من هنا أقرب.

دخلت ولأول مرة تمر به ليلاً، وهي بجانب القصر نظرت إليه، لتجد غرفةً مضاءةً، ليظهر من خلال النافذة، بها لوحة كبيرة، بعيدة غير واضحة الملامح.. سألتها صديقتها: ما هذا المكان؟

مردفة: إنه تحفة معمارية!

ردت سوزان: إنه قصر مهجور، لا أعلم عنه شيئًا، ما رأيك أن ندخل القصر؟

ربما نجد أشباحا به، وضحكتا.

وصلت الفتاة منزلها، وهي واقفة بالغرفة تذكرت تلك اللوحة، نظرت من الشباك ناحية القصر، اندهشت أنها رأت المكان مظلمًا، سألت نفسها بحيرة: كيف انطفأت الأنوار والمكان مهجور؟

لم تقف كثيرًا عند هذه الفكرة، خلدت للنوم.

اليوم التالي:

ذهبت لعملها، والتقت بصديقتها كارما، دار حديث بينهما عن ليلة أمس، خاصة عن الغرفة، المضاءة وكيف أنها أظلمت.

سألتها كارما باهتمام: ما حكايته؟

بحثتا على الحاسوب عن معلومات تفيدهما، وجدتا معلومة واحدة.. أنه في حادث غريب اختفى جميع سكانه، ولا يعلم أحد عنهم شيئًا، أنهت عملها سريعًا، عادت إلى منزلها، ثم سألت أمها.. ربما تعرف شيئًا عنه: أمي ماذا تعرفين عن القصر المهجور؟

ردت أمها: الحكايات كثيرة يا ابنتي، لكن لا نعلم الحقيقة.

تابعته الفتاة كل ليلة..

كانت الغرفة تضيء ليلاً وبعد ساعات قليلة تنطفئ، شعرت بالقلق والرعب، لماذا تلك الغرفة بالذات؟

كانت تتابعه مما جعلها تنشغل به، وتتمنى دخوله.

بطريق العودة من العمل، رأت أنها فرصة جيدة لاختلاس النظر، وقفت على البوابة طويلًا، رأت زهورًا جميلة من النوع الذي تحبه، تمنت الدخول لتأخذ، بعض منها، لكن خوفها منعها، عادت لمنزلها تنتظر كارما كما وعدتها بزيارتها، جاءت صديقتها وبعد انتهاء الأحاديث همت للمغادرة، لكنها تذكرت القصر فسألتها ما أخبار قصرك؟ قالت: كنت سأدخل البارحة، فسألتها لماذا؟

فذكرت لها تلك الزهور التي تعشقها ..قالت لها سوف أحضرها لكِ فأنا لا أخاف قصرك الملعون، تعالي، ضحكتا ونزلتا الدرج مسرعتين متجهتين نحو القصر..

وقفت سوزان بالخارج، دخلت كارما، قطفت لها الزهور، ثم أسرعت بالخروج، ولكنها شعرت بإحساس غريب، وكأن أحدهم يحدق بها من الخلف، لم تخبر سوزان كي لا تضحك عليها، رحلت مسرعة، شعرت سوزان بأن هناك شيء ما حدث، وقفت وحيدة أمام بابه تنظر إليه تفكر أن تدخله فكارما دخلت وخرجت، ولم يحدث شيء..

فتحت سوزان بوابة القصر ببطء وصوت أزيز الباب في أذنها يرعبها، ولكنها لم تتراجع وكأن شيء ما يدفعها للدخول..

وصلت للباب اختلست النظر من النافذة المفتوحة أيسره، وجدت بهوا كبيرا ممتلأ بالأثاث الفاخر الذي يعتليه التراب، والتحفيظ، والنجف المتدلي من الدور العلوي، الذي بدوره ينتهي بسلم للدور الثاني، تملكتها الشجاعة، قفزت من النافذة، فجأة تراجعت، خرجت مسرعةً لا تنظر خلفها ودقات قلبها تشتعل من الرهبةِ

وصلت لمنزلها، صاعدةً إلى غرفتها، تنظر من نافذتها، وكلها شوق لتكمل المغامرة.

اليوم الثالث:

حكت لصديقتها أثناء وجودهما في العمل، وقصت عليها ما حدث،

قالت لها: أنا أيضًا شعرت بالخوف الشديد البارحة، لكنني لم أخبركِ..

اتفقتا على أن يدخلا معًا..

الجزء الثاني:

ذهبتا بعد العمل.. فتحت سوزان البوابة، وقفتا حيث النافذة، دخلتا ببطء شديد.. وجدتا غرفةً على البهو ممتلئةً بالكتب، وغرفة بها طاولةً كبيرةً عليها أواني ذهبية وفضية تبدو غرفة لتناول الطعام، وجدتا غرفًا أخرى للخدم أيضًا، انتهيتا من الطابق

الأول ولم تجدا شيئًا مخيفا فأحستا بالاطمئنان، قررتا الصعود للطابق العلوي، صعدتا ببطء شديد ممسكتين بيد بعضهما، وكانت سوزان تتحرق شوقًا لتدخل الغرفة، وجدتا غرفا كثيرة، وكل غرفة كتب على بابها اسم، كانت الغرف جميعها مقفلة مما صعب عليهما الأمر، بنهاية الرواق لوحةٌ كبيرةٌ لامرأةٍ جالسةٍ، يقف بجوارها رجلٌ يرتدي بذلة.. كان وسيما قسيما، قررتا أن تفتحا الغرف واحدة تلو الاخرى وبدأتا بالغرفة الأخيرة، كانت لطفل ألعابه وملابسه تدل على أنه صبي، لم تجدا شيئا غريبا، غادرتا الغرفة وفتحتا الغرفة التالية، كانت غرفة نوم كبيرة،

لفت نظرهما خزانة.. فتحتها سوزان، كان بها ملابس وعلبة أسفل الخزانة تحت الملابس، فتحتها..

بها أوراق وصور وبعض الحلي التي تبدو مقلدة، أعجبت سوزان بسوار مطرز ارتدته بساعدها، ثم شعرتا بأن الوقت قد مر، فقررتا المغادرة.

لم تتذكر سوزان الغرفة التي رأتها وهي تمر بالشارع، قررت أن تكون أول الغرف التي ستشاهدها المرة القادمة.

نامت بلا تفكير.

شعرت بأن أحدهم يدخل غرفتها، يجلس بجوارها يعبث بأشيائها أحست بيد على جسدها.. قامت من النوم على صرخة قوية، أفزعت والدتها، جاءت مسرعة قالت: أنتِ تحلمين سوزان.

تخاريف لا أكثر، عودي إلى نومك.

خرجت الأم من الغرفة، لكن سوزان لم تنم.. أخذت تفكر في ذلك الكابوس،

ولماذا حدث لها بعد زيارة القصر؟!

غلبها النعاس، يوم جديد تقابل فيه كارما لتخبرها عن ما حدث.

ضحكت كارما وقالت: هذا تأثير القصر لا أكثر. من كثرة التفكير قررت أن تذهب لترى الغرفة التي شغلتها كثيرا.. صعدت السلم ووقفت أمام الغرفة، تسمرت أمامها.. بضع دقائق، بعدها قررت فتحها لتثير اندهاشها، يوجد بها لوحة رسم وألوان وبعض الأثاث،

لمن تلك الغرفة ومن كان يرسم بها؟!

اقتربت من اللوحة.. أزاحت الستار من عليها، وجدت امرأة جميلة جدًا، لكن المفاجأة، كانت ترتدي السوار الذي احتفظت به، انتابها القلق..

ما قصة تلك اللوحة؟!

نزلت سوزان لأسفل.. وهي في طريقها للخارج شعرت وكأن شيء يجذبها نحو غرفة المكتب..

ألقت نظرة عليها وجدت مكتبًا كبيرًا يتوسط الغرفة عليه أوراق كثيرة وكتب، اقتربت منه جلست على الكرسي، بدأت بفتح الدرج الأوسط، لكن هناك درج مغلق، بحثت عن مفتاحه، لم تجده، أغلقت الدرج، خرجت مسرعة، شعرت أن هناك شيء غامض ينتظرها..

رأت تلك المرأة بالصور تقف أمام خزانة الملابس،

التي أخذت منها السوار، رأتها تمسك بمفتاح، أخذت سوزان تفكر بذلك الحلم، وما الذي تقصده تلك المرأة!

عادت للقصر في اليوم التالي، دخلت من النافذة، صعدت للدور العلوي، فتحت الخزانة، بحثت فلم تجد شيئا إلا العلبة، فتحتها لم تجد شيئا جديدا، أعادتها مكانها ثم وجدت علبة بجوارها لم ترها المرة السابقة، فتحتها لتجد بها مفاتيح،

تذكرت الدرج المغلق فنزلت مسرعةً، أخذت تجرب المفاتيح جميعها، حتى انفتح الدرج وجدت به مفكرة، فتحتها، تبدو يوميات،

بدأت تقرأ.. تزوجت بامرأة لديها مرض نفسي، تعاملني بطريقة جنونية، كم مرة أنقذ ابني من بين يديها وهي تحاول أن ترمي به من الطابق العلوي، كانت تضربها بقسوة، تعتقد أنني أريد قتلها،

أعاني منها كثيرًا، الخادمة تعيش معنا بالقصر مسؤولة عن الطفل تساعدني كثيرًا في البيت وتربية ابني، لا أستغنى عنها، امرأة جميلة طيبة حنونة..

تشعر زوجتي بالغيرة الشديدة منها، ولكنني لا أستطيع الاستغناء عنها، فهي صبورة والطفل يحبها.

قامت علاقة حب بيني وبين الخادمة، آخذها ليلًا لمرسمي الخاص، كنت أقضي معها الكثير من الوقت شعرت بذلك زوجتي، جن جنونها، وفي الفترة الأخيرة كانت لا تطيق رؤيتنا معًا، اشتد عليها المرض والتعب بألوانه المختلفة، أصبحت تنتابها نوبات شديدة من وقت لآخر، ولا تهدأ إلا بالحقن المنومة، أنهت سوزان القراءة،

لكنها لم تجد شيء يحل لغز الغرفة!

قررت سوزان أن تعيد المفكرة، ومازال اللغز يحيرها، فتحت الدرج لتضع المفكرة، وبينما هي تغلق الدرج وجدت خيطا رفيعا.. سحبته فانفتح درج سري، وجدت به أوراقًا..

مكتوب عليها بنفس الخط السابق.. بدأت تقرأ..

أعترف أنني بالفترة الأخيرة لم أعد أطيق زوجتي، تخلصت منها، وضعت لها السم بالمشروب الذي تحبه لأنهي حياتها وأعود إلى هدوئي، لكنها لم تشربه أعطته ابننا، مات ابني وابنها.. مات بالحال، لم أصدق ما حدث، وضعتها بالمرسم، أغلقت عليها الباب، منعت عنها الأكل، كنت أدخل كل ليلة أعذبها وأنهال عليها بالضرب، أطفيء سجائري بجسدها، وأقطع أجزاء جسدها وأتركها تنزف طوال الليل..

ماتت وتعفنت، دفنتها أنا وخادمتي بالحديقة بجوار ابننا، لم أعد أطيق العيش هنا، سأسافر إلى الخارج.

أخذتْ الأوراق والمفكرة وهي تفكر بأمر المرأة بالحلم وقد تيقنت أنها الزوجة المقتولة، خرجت إلى الشرطة لتضع بين أيديهم الأدلة، تابعت سوزان التحقيقات بالجرائد، وعلمت أن الزوج لم يغادر البلاد وجاري البحث عنه هو والخادمة.

بمراقبة المكان تم القبض على الزوج بالقصر يجلس وحيدًا ليلًا بمرسمه،

بجوار لوحة زوجته باكيًا وبيده زجاجة خمر، اعترف الزوج بجريمته، وورد بالتحقيقات أنه نادمًا على كل شيء، فكان يحلم بها دومًا، ولم يستطع العيش وهو يفكر بها كل ليلة، أرجو أن تريحونني من عذابي..

وأشكر من دلكم على مكاني، اليوم فقط ارتاح ضميري.. تلك كانت آخر كلماته قبل إعدامه.

شعرت سوزان أنها يجب أن تعيد السوار إلى مكانه هناك، ولا يصلح الاحتفاظ به بعد ما عرفته من أحداث..

ذهبت إلى القصر، نظرت للحديقة الخلفية مكان حفر الشرطة، حيث تم العثور على الجثث، أعادت السوار إلى مكانه وهي بطريقها للخارج، نظرت ناحية الغرفة.. المرسم.. رأت تلك المرأة بالحلم تقف خلف الزجاج المغطى بالأتربة تبتسم لها.

سكوت قهري

لم يكن السكوت علامة الرضا فقط، بل كان علامة القهر والخنوع والاستسلام، تقف حائرًا عند تلك النقطة،

هل تبوح بما يدور بداخلك؟

أم تتركه حبيسًا يتصارع داخل صدرك ليفتك بك؟

هناك من يطلق الكلمات كالرصاص تجرح بلا رحمة، ولا يحسب لها أي حساب.

هناك من يتذوق الكلمة قبل أن ينطق بها.

هنالك فرق كبير بين شخصين،

الأول سامح...دكتور جامعي، هادىء الطباع،

عاشق للحياة والموسيقى والاطلاع،

حالم ذو ملامح مصرية جميلة،

ليس وسيما، لكنه طيب الطباع ورزين لدرجة تجعلك تحترمه، يحبه الجميع من أصدقائه وأهله وطلبة الجامعة، لم يكن يومًا متعسفًا مع أحد، ولا يفرض رأيه لمجرد أنه صحيح والرأي الآخر خطأ، يظل معك بالبرهان والحجة إلى أن تقتنع، وغير ذبك من الصفات والطباع الجميلة.

الشخص الثاني.. رامز ضابط شرطة، عصبي المزاج ،متسرع ، يتلفظ بألفاظ جارحة، لا يهتم برأي أحد، فهو دائمًا على صواب، لا يسمع إلا ما يمليه عليه عقله وقلبه متخذًا في الحياة شعار، أنا القانون..

بينهما فروق كثيرة، في الطباع وكان هذا سبب رئيسي في عدم تفاهم الأخوين والتشاجر باستمرار بينهما.

الاختلاف الجوهري بالطبع، جعلهم لا يتفقان أبدًا، وكأن هناك لعنة تحاوطهما من كل اتجاه، وكأن الأرض لم تكتفِ بدماء هابيل وتريد المزيد،

كان سامح يحب فتاة جميلة جدًا تعرف عليها بأحد أعياد الميلاد لصديق له كانت أخت الزوجة، انبهر بها وبجمالها وأدبها، وكان يتمنى أن يتزوج فتاة مثلها، طلب أن يقابلها ليتعرف عليها أكثر، ووافق صديقه،

دبرا موعدًا.. خرجوا بنزهة مع زوجته وأختها، تعرف عليها أكثر وارتاح لها وقرر أن يذهب لخطبتها، ذهبت أمه معه وتمت قراءة الفاتحة.

توالت الأيام وهما يتقابلان ويزداد حبه لها.. يومًا ما ذات مساء جاءت لزيارة والدته المريضة، رآها رامز كان يستعد للخروج كعادته للسهر بالخارج، لكنه لم يذهب جلس معهم، وأخذ يتحاور ويضحك معهم طوال السهرة، وكان بالطبع أشد وسامة من سامح وذو خبرة بأحاديث النساء التي تلفت انتباههم..

بالفعل لفت انتباه الفتاة، أخذ رقم تليفونها من هاتف أخيه، بدأ يغازلها بإرسال رسالة على الواتس، لكنها لم تهتم في البداية، عرف بالصدفة أنها ذاهبة إلى النادي لتقضي بعض الوقت مع صديقتها، وقف لها على الباب، وافتعل موقفًا.. أنه دخل معها النادي على سبيل الصدفة وقضي معها وقتًا طويلًا يسألها عن نفسها ويتغزل بها وبجمالها، كانت الفتاة بريئة، وهذا ما أثار كونه متواجدا دومًا بين الساقطات والمجرمين، وكأنه وجد السلام الداخلي معها، وكذلك الصفاء والنقاء الذي يفتقده في نفسه العدوانية، بدأ يلاحقها مرة بالاتصال ليلًا، ومرة بإهدائها الورد والهدايا الثمينة، شعرت بأنوثتها معه ،بالفعل تركت سامح وارتبطت بأخيه..

اشتري عداوة أخيه بأبخس ثمن، كانت الأم لا حول لها ولا قوة أمام بطش ابنها الذي لا يقدر أحد أن يقف أمامه دخل سامح بغيبوبة سكر كعادته إذا حزن وشعر بألم.

والدته جالسة بجانبه لا تملك إلا الدعوات فقط،، لم يشعر يومًا أنه كان سببَ مرض أخيه وحزنه.. حبيبته التي سرقها منه، لم يأتي حتى لزيارته، وبعد خروجه من المستشفى وعودته.

أصبح هناك غريمان يعيشان تحت سقف واحد، لا يطيقان بعضهما البعض، وإن تحدث أحدهما قامت حرب مشتعلة بالكلمات والسباب، صار هذا الحال ومرت الأيام على هذا المنوال، سامح يتحاشى أخيه كلما رآه، بطبيعة الحال ومع الوقت هدأت الأمور بينهما، لكن الهوة التي تبعدهم عن بعض راحت تتسع.

وفي يوم من الأيام تكلف رامز بمأمورية لمدة ثلاثة أيام لمطاردة خلية إرهابية على حدود البلاد،

هناك حدث ما لم يتوقعه أحد.. أصيب في قدمه أثناء المطاردة، وعاد محمولًا على الأكتاف، ليبقى على فراش المرض لمدة ثلاثة أشهر، بعد أن توقفت قدماه عن الحركة، وأصيب بشلل جزئي لا يقدر معه على المشي، تحولت حياته إلى جحيم بعد أن أصبح مريضًا، لا يبرح الفراش، كانت الأم هي الوحيدة التي تشعر بالأسى عليه، تدعو له بالشفاء بالرغم مما فعله بأخيه سامح، إلا أنه شعر بالعطف عليه، ولكنه لم يخبره، ترك خطيبته التي سرقها من أخيه حتى لا يرى بعينيها نظرة شفقة.

كانت الأيام ثقيلة عليه، تمنى الموت مرات، واليأس يأكل أوقاته، فكر بالانتحار.. كان يحتاج للرعاية بعد أن أصبح قعيد كرسيٍ متحركٍ وعكازٍ، لم يتركه أخيه، أحضر له شخصًا لرعايته، حيث أن والدته مريضة لا تقدر على خدمته..

عاش الأخوان تحت سقف واحد، والحزن واحد، والتعب واحد، ولا توجد مواساة لهم.

<u>حب ميت</u>

يقرأ أحمد إعلانًا بالجريدة عن إحدى الوظائف الشاغرة، بمزرعة بعيدة عن المدينة بمرتب خيالي..

سيساعده حتمًا على المعيشة، قرر بعد أن قرأ الإعلان أن يتقدم لهذه الوظيفة..

سأتقدم لها وأتمنى أن أنجح في المقابلة، يذهب لمقر الشركة، لا يوجد إلا عدد قليل متقدم لها.

يترك رقم هاتفه ويذهب..

تتصل به الشركة المعلنة، لقد وقع عليك الاختيار، جهز أغراضك، السفر غدًا.

لم يصدق أحمد بهذه السرعة،

يسافر بعربة الشركة، يصل للمزرعة ليلاً.. مكان مهجور، به كثير من المخازن والخردة التي لا يعلم ما قيمتها، ولكن ما يهمه هو الراتب، بعد أن نزل من السيارة سأل السائق: لا يوجد أحد هنا؟

يرد السائق: القليل من الناس.

ويكمل حديثه:

سيأتي في الصباح شخص ليخبرك عن مهامك، مع السلامة.

يبقى أحمد وحيدًا بمزرعةٍ كبيرةٍ، لا أحد بجواره، هو فقط.

يستلم عمله صباحًا..

ليكون مسؤول عن حراسة المكان، يمر الوقت ببطء، يجلس وحيدًا يتأمل المكان بصمت، وكأنه وحيدٌ بهذا العالم، يدخل الليل، لا يوجد سوى أصوات بعض الطيور الليلية والحشرات، يقوم ليستطلع المكان يرى ضوءًا من بعيد..

يحدث نفسه: ربما بيت أو شيء آخر، يخلد للنوم.

في الصباح.. يجلس أمام التلفاز ليمر الوقت بملل ويختنق من المكان والوحدة، يخرج ليستنشق الهواء، يشعر بحركة مريبة هل يوجد سارق هن!

دخل وأحضر سلاحه، ينتظر دخوله بأي لحظة، يذهب ببطء شديد ليرى مصدر الصوت،

قطة سوداء تقفز بوجهه وتموء بشدةٍ يفزع منها، خاصة أنه يخاف القطط، يعتبر أنها نذير شؤمٍ.

يحدث نفسه كثيرًا، يبدو أنني سأبقى بهذا المكان وحدي.

في الصباح حدث ما لم يكن في الحسبان، جاءت له فتاة جميلة تحمل زجاجةَ لبنٍ، نظرت له وابتسمت، فتحت فمها لتتحدث، صوتها ناعم لا مثيل له، هادىء يجعلك تنصت فقط.

قالت: والدي أرسلني لك، هو صاحب هذا البيت، أشارت لمنزل بعيد.

لم يشعر بتلك السعادة منذ فترة طويلة،

قال لها: اشكري والدك على هذه الهدية..

وسوف آتي بالمساء لزيارته وأشكره بنفسي، يشعر ببعض الراحة،

أخيرًا هناك بشر سأراهم وأحدثهم، وضع زجاجة اللبن بالبراد ينتظر قدوم الليل.

يأتي الليل، لكنه لا يخاف، يخرج معه بطارية، ليرى بالظلام، الطريق طويل، يصل

ويطرق باب المنزل لا أحد يجيب يطرق ثانية وينتظر، لا يوجد أي صوت بالداخل، يشعر بالاستغراب، ويسأل نفسه هل خرجوا؟

يعود للمزرعة وهو مندهش!

أين ذهبوا؟

جلس يشاهد مباراة كرة قدم قبل أن يذهب للنوم.

صباح اليوم التالي، تأتي نفس الفتاة تحضر له طبقًا به بعض الطعام وتسأله لماذا لم تأتِ بالأمس؟

جئتُ ولم يفتح لي أحدٌ البابَ.

قالت له: للأسف والدي سمعه ثقيلًا، سوف أحضر اليوم، أرجو أن تنتظريني وتفتحي لي الباب،

تذهب، وهي بطريقها يتابع أين تذهب، يخرج وراءها، ولكنها اختفت..

يحدث نفسه: ما هذا؟

هل بهذه السرعة يأتي المساء؟!

هذه المرة لن أذهب حتى تفتح لي الباب، يطرق الباب وتفتح له الفتاة، يدخل البيت ويستقبله أبوها بكل ترحاب.

استمر هذا الحال بشكل يومي،

يسهر معهم طوال الليل بضحك، حالة من الشغب والحب حتى الصباح، يعود إلى غرفته مكتمل السعادة، تمر الأيام وهو يذهب لهم كل مساءٍ، ويسهر معهم.. ما يلبث أن يقع بحب الفتاة، يخلق الحجج ليذهب لرؤيتها، ترتدي كل يوم رداء أجمل مما قبله، تعد له الأصناف التي يحب أن يأكلها، عشقها حد الثمالة، كان موقف والدها غريبًا، متساهلًا معهما، يتركهما وحيدين كثيرًا.

كان أحمد لا يعلم كيف يتخلص من تعلقه بها، أصبح شغوفًا برؤيتها كطفلٍ ينتظر ميعاد لعبته المفضلة، فكر بالزواج منها والعيش بالمكان، فهو الآن يمتلك راتبًا كبيرًا ويستطيع أن ينفق عليها، إلى أن جاء ميعاد إجازته الشهرية،

تاتي إليه عربة العمل وتنقله إلى بلده لقضاء الإجازة، يركب العربة ويطلب من السائق أن يذهب به إلى منزلها ليودعها قبل رحيله، ينظر له السائق وهو مصدوم..

ستودع من يا أستاذ أحمد؟

يرد بابتسامة عريضة: لي أصدقاء بهذا البيت، أود أن أودعهم حتى أعود.

يضحك السائق بصوت عالي، ثم يتوقف ليكمل حديثه، لا يوجد أحد هنا، من تريد؟

أحمد: أنا أريد سكان هذا المنزل.

رد: ولكن هذا المنزل أصحابه ليسوا هنا.

رد: حسنًا إلى أين ذهبوا؟

أحمد: إنهم قريبون جدًا.. بالمقابر.

عقد حاجبيه، وسأل: هل مات لهم أحد؟

يجيب السائق بكل ثقة: هم من مات يا سيدي.

يرد أحمد بذهول: من! كيف هم؟

يقول: هم أموات جميعًا.. ماتوا بحادث العام السابق على يد شاب كان يعمل هنا قبلك.. كانت لديهم فتاة جميلة كانت على علاقة حب به، عشقها هذا الشاب، وطلب يدها للزواج، ولكنها فضلت الزواج من ثري ورفضته، جن جنونه، وذهب يتفاهم معهم، ولكن والدها سخر منه وطرده، لم يشعر بنفسه، أخرج مسدسه وأفرغه فيهم جميعًا.. وهو الآن ملقى بالسجن.

لم ينطق كلمة واحدة طوال طريق العودة، تمنى لو كل كلمة سمعها كانت كذبة، ولكنه تحقق من الأمر عندما عاد لمدينته، ترك العمل، وعاد إلى حياته ولكن بلا روح.

ساحل النسيان

اتفقت أنا ومجموعة من صديقاتي أن نغادر عالم الرجال، نكتفي بأنفسنا، كفانا هزلًا تعبنا من غرورهم اللا متناهي، تسلطهم وفرض سيطرتهم علينا.

لنعيش بحرية بعيدًا عن أراضيهم، نخلق لنا حياة خالية منهم.

حياة يملؤها الحب والسلام، رسمنا خطة للهروب، دبرنا الأموال اللازمة لذلك، المكان الذي سنشيد عليه قريتنا الصغيرة،

مكان مهجور من سنين يقع علي ساحل البحر الأبيض المتوسط، يضم مجموعة من المباني القديمة والشاليهات التي تطل على البحر، مكان سيفي بكل أغراضنا، فعندما فكرنا أن نستغني عن الرجال وعالمهم كان لا بد من توافر جوانب عدة، كنا نستقطب بعض العناصر المفيدة لنا.. الدكتورة مثلا والمعلمة والطباخة، والخياطة، وأن نضم كافة المجالات التي تعمل بها المرأة، فقد كنا نريد إنشاء منظومة لا يشوبها أي خلل، قررنا أن نعيش هناك بعيدًا عن كل شارب أو صوت رجولي خشن.

اتفقنا مع الأتوبيسات التي ستنقلنا إلى هناك، بعد أن أطلقنا عليه اسم ساحل النسيان.

وصلنا بالفعل وبدأنا بتسليم الوحدات إلى النساء، فكنت أنا وبعض الصديقات المقربات مسؤولات عن ذلك، وأنشأنا على الإنترنت جروب يعلن عن قريتنا، وصرحنا بأن هناك متسع لكل امرأة أوفتاة خذلها رجل وتريد أن تعيش بعالمنا نحن عالم النساء، فعليها فقط أن تترك لنا رسالة، ونحن نتكفل بالباقي.

لم نكن نريد تعقيد الأمور كي لا تتراجع عن قرارها وتعيش تحت رحمة رجل لا تريده يتحكم بها..

أما مال أو ولد، فلدينا محاميات بارعات للدفاع عنا وعن قضايانا،

قبل أن تغادر المرأة بيتها كنا نرفع لها دعوه طلاق أو خلع حسب ظروفها المادية، فكان كل شيء محسوب بدقة وكل الأوراق سليمة.

كنا نعلم أن معركتنا مع الرجال تبدأ ولن تنتهي، وبالفعل كل فترة كان يحدث مالا يحمد عقباه،

رجال تشكونا في الأقسام لخطف زوجاتهم وأبنائهم، وآباء لتحريض بناتهم علي الهرب، وكان من الطريف عند دعوة أب وأم إلى ساحلنا المعزول، كانت تروق لهم الفكرة ويتركون ابنتهم تعيش معنا دون تردد، على سبيل أنها تعمل وأن المكان لا يوجد به إلا النساء.

وأحيانًا كانت هناك أمهات تتمنى أن تأتي وتعيش مع ابنتها بجوارها ولكن لا نظلم جميع الرجال فهناك قلة تحترم النساء وتقدرهم، وتحترم كيانها، وهؤلاء كنا لا نتردد أبدًا من إدخالهم إلى القرية لزيارة بناتهم أو عودة زوجة لزوجها..

كانت الحياة هناك أشبه بالجنة، راحة نفسية لا مثيل لها، بدأت بعض الجمعيات النسائية بدعمنا وإرسال نساء غير قادرة على العيش كل فترة، حيث كن منهارات، وكانت تلك الجمعيات تجمع التبرعات من النساء القادرات ماديًّا وإرسالها لنا، لتتكفل بكل امرأة لا تقدر أن تعول نفسها، أقمنا مجموعة فصول دراسية للأطفال، وعيادات ومحلات بقالة وملابس وغيرها، كنا نحرص على توفير كل شيء حتى لا يشعر أحد بالنقص والفراغ..

ومن كان يمتلك موهبة أو حرفة كان يعلمها للباقين، كان الهدف من ذلك المكان أن يعرف الرجال مكانة المرأة وقيمتها، فبعد أن تجد من يساندها وأن تنفصل عنه ويكون لها كيانها الخاص بها.

بالفعل وجدنا بعض الرجال يأتي ليستسمح زوجته ويعتذر لها، لم نكن نفرض على أحد العيش معنا، فمن كانت تريد أن تعود لزوجها وحياتها كنا نتركها ترحل معه، ونوضح لزوجها أننا على أتم استعداد لأخذها مرة أخرى إن صدر منه ما يسيء لها.

كنا نفاجأ ببعض الرسائل التي تصل لنا منهن عن تغير معاملة زوجها بعد عودتها،

هذا سبب كفيل ليسعدنا، فبعض النساء ضعيفات لا تملكن ظهرًا للاستناد عليه، فكنا ظهرها.

الغريب في الأمر أن بعض الجمعيات الدينية كانت تدعمنا،

بدأ الخبر ينتشر في الأوسط العالمية، أتت لنا محطات من كل دول العالم للتسجيل معنا وعرض المكان والفكرة التي راقت للكثير من النساء حول العالم، واتسعت رقعة تعاملنا،

كانت هناك بعض العناصر الضعيفة التي كانت تهرب من قريتنا لتعود إلى عالم الرجال عند سماع أول كلمات حب وغزل لهم،

وكنا نرفض استقبالهم مرة أخرى عند عودتهم لنا، فكنا نريد نساء قويات صاحبات قرار، الضعف كان آفة لا نريد أن تنتشر بين صفوفنا.

ومن أكثر القصص التي سردت علينا من النساء، أكثرهم ألما تلك الأم العجوز التي تزوج عليها زوجها فتاة صغيرة، كونها لم تعد قادرة على تلبية طلباته الجسدية، لم تعد تطيق العيش فذهبت لأحد أبنائها الذي بدوره لم يوفر لها الراحة، فلجأت لإحدى الجمعيات الإنسانية وبالأخير إلى قريتنا، كانت القرية تقع ما بين العلمين ومطروح، وقد اخترنا ذلك المكان مخصوص لأنه محاط بالألغام من كلا الجانبين، حتى لا يتسلل لنا أي أحد تطأ أقدامه أرض قريتنا خلسة، رغم كل الاحتياطات كان يحدث من بعض العرب المقيمين حولنا..

فكان فكرة وجود نساء كثيرة في مكان معزول وحدها فكرة تثير الرجال وتجعلهم أكثر شغفًا لرؤية ما يحدث داخل هذا المكان، كل شيء مدروس ومحسوب إلا بعض الأشياء، التي زعزعت صوت وحدتنا لا

تستغربوا ألفاظي فقد كنت أعتبر أننا بحرب ولابد أن نكون نسيجًا متماسكًا حتى لا ينهار عالمنا.

سأقص عليك بعض المشاكل،

لكن بالأول، قابلتني أنا شخصيًا مشاكل جمة، مثل:

أن نقيم نظام أمني على أعلى مستوى يؤمن المكان من

المتطفلين والسارقين وغيرهم من ذوي النفوس الضعيفة،

ذلك جعلني أتصل بإحدى شركات الأمن واللجوء للرجال رغم أنفي، بالفعل حضرت الشركة الخاصة بالتأمين وتم إنشاء أقوي نظام أمني بالقرية، بالتالي لم يكن الحراس رجال بل عدة نساء قويات مدربات على أعلى مستوى، ومراقبة المكان بالكاميرات والسهر ليلًا لمتابعة ما يحدث، وللأسف احتجنا مرة أخرى للرجال في أعمال الصيانة والترميم لبعض المنشآت.

لكن ما باليد حيلة، لا بد من إدخالهم إلى عالمنا.

ولا أنسى أبدًا نظراتهم لي ولغيري من النساء، ولا تنتهي المشاكل هنا فقط، بل بعض الرجال كانوا يرفضون يد المساعدة لنا بعد أن يعلموا هويتنا،

في النهاية كانت الجمعيات التي تساندنا ترسل لنا ما نحتاجه، اعتادوا على حياتنا والسلام الداخلي لقريتنا،

أعود أقص عليكم قصصًا أخرى لها العجب وجعلتهم معادن الرجال..

أولها قصة امرأة ثرية كان زوجها شاذًّا جنسيًا، وبالرغم من ذلك كان لديهم أطفالًا، كانت زوجته تعلم بأمر شذوذه، الأمر أصبح فوق قدرة تحملها تعترف لي وتقول:

أكثر من مرة أعود شقتي لأجد آثار لوجود رجل آخر معه، عندما واجهته لم ينكر يقول لي احمدي الله أنك لا تأتي لتجدي نساء أخريات، أو أن أتزوج غيرك وأجلبها لتعيش هنا معكِ، أشعر بالاشمئزاز منه، وبعد فشل كل المحاولات للإصلاح لجأت لنا.

<u>قصة أخرى:</u>

أتت صاحبتها على باب القرية تصيح افتحوا أرجوكم، تبكي بشدة، أدخلتها وبعد التفتيش لدواعي أمنية ولإجراءات روتينية اتضح أنها هاربة من بيت زوجها، كان يسبها ويضربها أمام أهله، لا يعمل لها أي

اعتبار عروسة لازالت بثوب الفرح، ويجبرها لخدمة أهله، وإن اعترضت أهانها وضربها أمامهم تقول وهي منهارة:

يعاملني كجارية، لم أعد أحتمل العيش معه، أرجوكم.. ارحموني.. ليس لي أحد بهذا العالم.

تكمل حديثها: تزوجني من ملجأ للأيتام حتى يفعل بي ما يحلو له، يأتي بأصدقائه ليلًا يجعلني أخدمهم وأمشي أمامهم بثياب نومي ولا أعلم ما سيفعله بي، هربت ولجأت لكم بعد أن سمعت عنكم بالتلفاز، لم يكن بيدي حيلة إلا أن أحتضنها بقريتنا،

حتى لا تذهب لطريق مفخخ بالرذيلة.

وقصة رابعة:

فتيات صغيرات تباع للأثرياء العرب بزواج المتعة، وتطلق بعد أشهر وتعود لأهلها منهم من تحمل بأحشاءها طفل ومنهم من تعيش دوامة الزواج والطلاق لغرض النقود.

قصة خامسة:

قصة زوجة رجل مهم بالدولة يتعاطى المخدرات ويعامل زوجته معاملة سيئة بالضرب والشتائم وكأنه عربيد من الشارع.

قصص أخرى كثيرة سمعتها هنا وبالخارج، ولا أصف النساء فبعضهن لا يعاملن أزواجهم بما يرضي الله، من تهرب مع حبيب لها، ومن تعشق أخا زوجها، ومن تخون زوجها المسافر، ولا أستثني أحدًا من الخطأ، ولكن بالنهاية فمن رأي الخاص أن الرجل لو احتوى بيته وزوجته وأولاده بطريقة عقلانية، واتبع المعاملة الطيبة والود والرحمة لما كان هناك نساء ورجال بمشاكل، وبالنهاية الحياة وصدماتها لنا جعلت منا أرواحًا مهشمةً تتحمل اللصق والتجميع مرة أخرى.

لا أعلم إلى متى ستظل المرأة مهانة؟ تُعامل وكأنها سلعة تباعُ وتُشترى، أجساد بلا عقول والبعض يعتبرها واحة للراحة والمتعة، تمر الأيام تتشابه القصص وتتكرر المآسي،

وتتزايد أعدادنا،

يومًا بعد يوم يولد بيننا أطفال لا أعلم ما الذي سنربيهم عليه وما نغرس فيهم حب الرجال أم كرههم؟ من الصغر أعتقد أن وجود أطفال ذكور بيننا لا يحمد عقباه لذا سنرسلهم بعد أن يتم البلوغ إلى آبائهم، أو إرسال الأم وابنها إلى مكان آخر يصلح للعيش فيه.

بالرغم من كل ما قدمته للنساء من

مساعدات وإبعادهم عن عالم الرجال،

كان أكثر ما زعزع وحدتنا ونفوسنا اعترافنا بيننا وبين أنفسنا أننا أحيانًا نحن لهم، رغم كل شيء صدر منهم جعلنا نكرههم ونكره أفعالهم،

بالرغم من خيانتهم لنا ومعاملتهم السيئة أننا نذكرهم وتدور بعض الأحاديث عنهم، وأحيانًا كانت بعض النساء تتشاجر مع بعضهن باستعراض جمالهن وأنهن ما زلن مرغوبات بين الرجال، وإن خرجت واحدة منهن لتهافت عليها الرجال،

ماذا أفعل في طبيعة بشرية تغلب علينا؟

فطرة خُلقنا عليها، نبحث عن جزء ناقص ليكملنا.

بالنهاية

الحياة مستمرة لا تقف عند أحد، أيامنا تتشابه في ساحلنا وروتين الأيام كان يزرع فينا الملل، كنت أقتله ببعض الرحلات خارج القرية، فمثلا ذهبت بهم لشرم الشيخ، وبعض السفاري والرحلات العلاجية لعيون موسى والأهرامات والأقصر وأسوان وغيرها للمتعة والتغيير، والتي كانت بمثابة تغيير جذري للبعض حتى لا نشعر أننا انعزلنا عن العالم ونعيش بسجن للنساء.

كنت كل فتره أتفقد أحوالهن النفسية، فبعض السيدات كانت تعترف أنها تود العودة للحياة بالخارج مرة أخرى، وأنها ملّت حياتنا، لكن ما يجعلها تتراجع عن قرارها أنها تعيش بيننا بكرامة وعزة، ومنهن من كانت تقول لي: أنكِ أعطيتني أكثر بكثير مما كنت أتمنى وأن المكان أشبه بجنةٍ، ولا تتمنى أن تفارق المكان لحظة واحدة، والبعض كن يبكين عندما نهديه هدية أو ملابس جديدة،

كانت تأتينا هدايا من بعض سيدات الأعمال والجمعيات الخيرية للنساء، فكان الأمر مكلفًا علينا بالطبع، إلا ما كان من باب لمساعدة،

الطعام والملابس والاحتياجات الشخصية للنساء والعطف والأدوية وغيرها،

فالمكان أشبه بعالمٍ صغيرٍ أو كوكبٍ منعزلٍ عن الناس،

وقد سمعت أن بعض الدول الأوربية تنفذ الفكرة لديهم، كنت أتلقي الرسائل التي تؤيدنا من الخارج من دول عربية وأجنبية، كان هذا يسعدني كثيرًا، ويجعلني أثابر وأتحمل ما يحدث من مضايقات ومشاكل لا حصر لها، ولا أعلم ماذا يخبئ لنا القدر، وإلى أي طريق سيأخذنا مصيرنا.

هل سيستمر الدعم الخارجي لنا وتتسع أحلامنا؟

أم نتحول إلى قرية للعانسات والمريضات ويحيط بنا الفشل بساحل النسيان.

خلف المرايا

تقف أمام المرآة تضع مساحيق على وجهها البريء، ترتدي الحذاء ذو الكعب العالي، تبدو أكبر سنًّا، تذهب وتعود بطريقة تمثيلية، وكأنها سيدة كبيرة، تتهيأ للخروج، تنادي عليها أمها، لا تهتم أو بالأصح لا تسمع شيئًا من شده انبهارها بنفسها،

مأخوذةً إلى عالمٍ آخر، لا تشعر بشيء من حولها، ترى أحلامها كلها تتجسد

أمامها، تفيق عندما تجد المرآة تحولت لصورة أمها التي تقف أمامها وتنظر لها شزرًا.. ماذا تفعلين؟

ألم أقل لكِ آلاف المرات لا تفعلي هذا؟

تنصدم الفتاة الصغيرة، تفوق لتسأل نفسها أين كانت؟

وأين هي؟

شعرت بأنها في عالم آخر انتقلت له للتو، لكنها أدركت الموقفَ وخلعت الملابس وأزالت المكياج، وعادت إلى طبيعتها..

أغلقت الأم باب غرفتها بالمفتاح، خوفًا عليها فهي انتقلت للتو إلى هذا المنزل الجديد، كان لسيدةٍ عجوز توفيت وتم بيعه من قبل الورثة، ترتب أغراضها التي تتناثر بكل مكان، تفتح خزانةً لتضع بها أشياءها لتجد صندوقًا مقفلًا عليه رسومات ونقوش غريبة الشكل، شكلها مخيف، وكلمات غير مفهومة كأنها طلاسم تخرج الصندوق، تتعجب!

ما هذا الشيء؟

ما الذي بداخله؟

تقرب يدها وتتحسس النقوش التي عليه، تشعر كأنها أخذت صعقة كهربائية، تبتعد وهي مفزوعة، تعيده مكانه وتغلق الخزانة، تكمل يومها ما بين ترتيب وتنظيف..

إلى أن جاء موعد نومها، فتحت غرفتها لتلقي بجسدها المنهك على السرير، تغط بنوم عميق، تجد نفسها تتصارع مع أحدهم، مخفيا وجهه بقناع، تحاول الهروب، تتذكر ابنتها، تعود لتأخذها، لا تجدها بغرفتها، تبحث بكل مكان.. تدخل الغرفة لتنظر تجدها داخل المرآة، تحدثها لا ترد، تنادي عليها تلمسها لا تجد إلا

سطحًا زجاجيًا، تختنق وتفزع من هول ما رأت، تصرخ بصوت محشور لا أحد يسمعه، تفيق علي يد ابنتها الصغيرة، وهي تناديها: ماما ما بكِ تصرخين؟

نظرت من حولها كل شيء على ما يرام، تنفست بصعوبة وأخذتها بجوارها.

في الصباح خرجت لشراء مستلزمات البيت، وبطريقها للعودة تقابل شخصًا، يسألها عن صاحبة البيت العجوز، قالت له أنها ماتت وهي انتقلت إلى العيش هنا،

رد إلى الجحيم تلك العجوز الشمطاء تحدق به باستغراب، حل المساء..

انقطع التيار أشعلت شمعةً لترى بها في الظلام لكي تعد العَشاء..

في طريقها للمطبخ تسمع أصواتًا، شعرت بأن هناك شيئًا يتحرك بالمنزل، ترى في الظلام الشديد،

تسمع أنفاسًا حادةً قريبة منها،

تسري بجسدها قشعريرة، تقف مكانها من الخوف، تتذكر ابنتها تعود لتراها واقفة تنظر من النافذة المفتوحة، فجأة عاد الضوء، دب القلق بداخلها لكنها طردته سريعًا، عندما رن الهاتف.. شخص ما يحدثها، يسأل عن صاحبة المنزل، يستفسر إن كانت تركت صندوقًا خشبيًا، فردت لا أعلم وأغلقت الخط..

تذكرت صندوق الخزانة، شعرت بأن الأمر مريب بعض الشيء،

ما قصة تلك العجوز؟!

لماذا لعنها ذلك الشخص الذي قابلته أمس؟

وما قصة الصندوق؟

ذهبت للخزانة، حملت الصندوق لغرفتها، أغلقت الباب، تحاول أن تفتحه، لكنه مغلق بإحكام، بدأت تبحث على الإنترنت عن الكلمات المكتوبة عليه لعلها تفهم شيئًا، وجدتها كلمات وطلاسم سحرية، حملته لتعود به لأسفل، وهي بطريقها تقف أمام المرآة لتجد ضجيجًا يصدر منه، تنظر لتجد الصندوق يتحرك، مما جعل دقات قلبها تزداد، ضربات قلبها تكاد أن تصيبها بدوار من شدة خوفها تلق بهوًا، إذا بالمرآة تتحول لباب، تمتد منه يد امرأة عجوز تقول لها: تعالي، لن تندمين، سأعلمك أقوى طرق السحر السفلية، ستجنين الكثير من الأموال، هيا اقفزي داخل المرآة، تصرخ وتخرج من الغرفة مسرعة لأسفل، لتجد أمامها رجلًا أشعثًا،

مريب الشكل يرتدي ملابس غريبة، بيده خنجر صغير، يقول بابتسامة باردة: أين الصندوق يا صغيرة؟

تخاف منه وتهرول مرة أخرى لغرفتها، تغلق الباب بالمفتاح لتجد المرآة مفتوحة، تقفز بها، تجد دهليزًا طويلًا بنهايته ضوء، تسير إليه لتجد غرفة مظلمةً ونورًا خافتًا، يجلس على طاولةٍ مستديرةٍ أربعةُ أشخاصٍ مغطون الرؤوس، يهمهمون بكلماتٍ غير مفهومة ويهزون أجسادهم بحركة جماعية، تخاف منهم، لكنهم يقفون فجأة وتقف الأجساد عن الحركة ليدير أحدهم رأسه ببطء نحوها بعيون حمراء تملؤها دماء بعد أن نزع القناع من على الوجه،

تختبئ بسرعة خوفًا من أن يراها، تجري نحو غرفتها مسرعة عبر المرآة تتذكر طفلتها التي تنام بالغرفة المجاورة لها، تفتح الباب، تطمئن عليها الحمد هي بخير.

لكنها علمت بأمر المرآة السحرية، هي ممر لعالم سفلي للجن والشياطين، كأن أبواب جهنم قد فُتحت بوجهها ولن تغلق، اتصلت بصديق لها يعلم أمور السحر، حكت له الحكاية ووعدها بالحضور في الصباح، لكنها خائفة.. لم يغمض لها جفن طوال الليل، جاء صديقها، حكت له ما رأت قال لها أن الأمر ليس بيده سيحتاج بعض الوقت، أو تترك المنزل في الحال، لكن ترك المنزل يتطلب بعض الوقت، خاصة أنني نقلت كل أغراضي هنا، يرد لكن هو الحل الأفضل، قررت تركه فصعدت لتحضر بعض الأغراض للرحيل، وهي بغرفتها تنظر للصندوق وتتعجب، تُرى ما الذي بداخله!

تمنت أن تعرف سره، بدأت بأن تجمع أغراضها، وحين أنهت جمع الأغراض ذهبت لغرفة ابنتها لإحضار أغراضها.. دون أن تشعر اختفت ابنتها من جانبها، بحثت عنها بكل مكان لتجد لعبتها ملقاةً على الأرض، لكنها أدركت الأمر سريعًا، صاحت بصوت عالٍ، جاء صديقها من الأسفل مسرعًا ماذا حدث؟ ابنتي هنا وهي تشير للمرآة.

حسنًا لا يمكنني القيام بالأمر بمفردي، حل المساء، جاء ومعه رجل آخر، صعدا للغرفة، وقفت هي أمام المرآة، وبدأوا ببعض التمائم والكلمات التي جعلت الغرفة تدور بما فيها من أثاثٍ وأصواتٍ صاخبة لا يعرفون مصدرها لينطفئ النور، وتفتح المرآة أبوابها أمامهم، ظلمة شديدة.. تدخل وبجوارها الرجلان يتمتمان ببعض الكلمات وهي تسير ببطئ وحذر تشتعل ألسنة نيران بنهاية المكان، أين ابنتي؟

تبحث عن ابنتها، غرفة بها نفس الرجال الأربعة، تتركها لتبحث بحذر عن ابنتها، لتجدها معلقة على الحائط بجوارها رجال جلودهم متدلية، وعيونهم حمراء، وأرجلهم تشبه أرجل الجمال،

كيف ستخلص ابنتها منهم؟

تصرخ من هلع الموقف ابنتي.. تقف وترتجف ومن خلفها الرجلان يتلوان عليها الآيات لحفظها، كلما اقترب منها رجل من الجان احترق أمام عينيها، فر الكثير منهم وبحوزته الفتاة، تجري أمها خلفه لكنه اختفى عن النظر.

نفذت طاقتهم جميعًا في البحث عنه، عادوا أدراجهم وأغلقت المرآة، من شده التعب نامت قليلًا وهي جالسة.

في اليوم التالي..

طوال اليوم تنتظر المساء لتحضر ابنتها من العالم السفلي، لكن هذه المرة كانت صعبة فهو يعلم بوجودهم، والأكيد أنه سيحصن نفسه جيدًا، ستدخل حتما في صراعات شديدة معه.

يذهب الرجلان للبحث عن أحد الأشخاص القادرين على التعامل مع الجان من هذه الدرجة، يبحثان كثيرًا حتى يعثران على أحدهم.. كان رجلًا عجوزًا بشع الهيئة، رث الثياب، ينظر بنصف عين، سردوا له ما حدث سريعًا، ضحك ضحكة شيطانية، وأتبعها بقوله: أعلم ذلك المكان والمرآة السحرية، كنا نقيم حفلات تحضير أرواح كثيرة مع تلك العجوز اللعينة صاحبة هذه المرآة، لن يفك السحر غيري، أنا رجل لعين،

تلك المرأة التي أخفت الصندوق عني تحتاج لمساعدتي.

تم الاتفاق على مساعدتها وأخذ الصندوق بالمقابل، ذهبت معهم، عندما رأته المرأة، تعجبت وصاحت به من أنت؟!

ما الذي أتى بك؟

نظر إليها بسخرية: أنا من سيخلص ابنتك من الجان.

شرح لها الاتفاق.. وافقت، وطلب منها الصندوق لأنه سيساعده، أحضرته، وفتحه بمفتاح أخرجه من جيبه،

اجتمعوا جميعًا بالغرفة التي بها المرآة..

وكان بالمقدمة الرجل العجوز فتحت المرآه،

يدخلون وهو يردد الكلمات والتعاويذ السحرية، ومعه مرآة سحرية صغيرة أحضرها من الصندوق، يمسكها بيده يشاهدون ابنتها والجني يحاول أن يجعلها خادمة له، ولكن الفتاة لم تتحمل ما فعله الجان بها،

تبدو شاحبة الوجه منهكة القوى، على مشارف الموت، وصلوا إلى مكانها، شعر بهم وفجأة ترتمي الطفلة كجثة هامدة على الأرض، وهو يحاول حرقهم بيديه،

حينها عكس الرجل المرآه التي بيده نحوه، أغمض عينيه، ومع الكلمات السحرية من العجوز فر هاربًا،

حملت الأم الطفلة وعادت أدراجها إلى البيت وهي مريضةٌ جدًا، وفي عجلة من أمرها حملت أغراضها لتفر هاربة من ذلك المكان الملعون، بطريقها للخارج قابلت الجار مرة أخرى، وسألته: لماذا لم تخبرني عن ذلك المكان الملعون؟

قال: شرهم أسود، واحمدي الله أنه أنجاكِ،

فكثيرون دخلوا هذا البيت ولم يخرجوا، فلن تفلتي منهم أبدًا..

طالما عرفوكي لابد أن تتخلصين منهم بنفسك ليدركوا مدى قوتك ولا يتعرضون لكِ بعد ذلك طوال حياتك..

شكرت الرجلان، لمساعدتها وأخذ العجوز الصندوق، ولكنها استعانت بهم لإخراج منقولاتها ومغادرة المكان مع غلقه.

يوميات زوجة

رجل أنيق جدًا بملابسه، يبدو عليه الثراء، ذلك الحذاء الباهظ الثمن الذي يبدو عليه أنه من أجود أنواع الجلود الطبيعية.. يا ترى من هذا الرجل؟ يبدو لي كرجل مهم ذو منصب عال، أشتاق لرؤية ما بداخل محفظته..

هل هناك دولارات؟

أم أنها مكتظة بنقود ذات الفئة الثانية؟

أم فيزا كارت؟

بالتأكيد يحملهم جميعًا.. أتمنى لو كنت ثرية وأملك الكثير من النقود لأحقق أحلامي التي أتمناها، أركب سارة حديثة لا ترهقني مثل سيارتي القديمة أسافر لباريس للتسوق وشراء الملابس، ربما أساعد الكثير ممن أعرفهم لتحقيق أحلامهم،

يا الله لقد شردت بفكري بعيدًا ونسيت ذلك الأنيق.

وقف أمام المصعد، ووقفت أنا بجانبه أنتظر دوري، وعندما جاء المصعد

قال: تفضلي سيدتي، بلا تفكير صعدت إلى المصعد بخفة ورشاقة، وكأنني أحاول أن أبهره وألفت نظره لي، ولكنه ما إن صعد أدار ظهره لي، ووضع وجهه بباب المصعد حتى نزل معي بنفس الطابق،

اتجه نحو الشقة المغلقة من سنين، انتابني القلق، لا أعلم لماذا؟

دخلت شقتي، أفكر وأتسائل هل هو صاحب الشقة؟

أم أنه ساكن جديد يستأجرها؟

أم ماذا؟!

أغلقت بابي، لم أفق إلا عندما رن جرس الهاتف اللعين، هذا أخي يتصل بي يريد أن أذهب لأحضر أبناءه

من المدرسة بدلا منه،

بكل إنهاك وتعب وافقت، خرجت من شقتي لأجد ذلك الرجل أمامي مرة أخرى بكل هيبته وكيانه الرجولي الفخم، ونزلنا مرة أخرى بالمصعد معًا،

ولكن هذه المرة لم أكن أهتم بخفتي ورشاقتي أمامه، لقد كنت بكامل هذياني وضعفي، افترقنا على باب العمارة كل منا إلى طريق.

أحضرت أبناء أخي، وعدت إلى شقتي مسرعة قبل عودة زوجي من العمل، كي أحضر الغداء حتى لا يسمعني كلماته المعهودة..

لا تهتمين بي، لا رأي لي، تفعلين ما يحلو لكِ، أنا بلا قيمة (طرطور) لا تحضري لي طعامي كباقي الرجال هل تحبين المعاملة القاسية حتى تهتمين بي جيداً، مللت منها.

(طرطور)، (طرطور)،

تلك الكلمة كلما قالها لي أتخيل شكل الطرطور ووجه زوجي ملتصق به وأبتسم أمامه مما يجعله يصيح أكثر بوجهي.

ثاني يوم في الصباح الباكر استيقظت لأفتح نافذتي وأستنشق هواء الصباح غير الملوث، نظرت أمامي إلى ذلك الرجل، يقف بالشباك المقابل، تبادلنا النظرات سريعًا، ثم تركت الشباك ودخلت لأجهز نفسي للذهاب للعمل، حياة مملة روتينية، لا شيء جديد، فتحت باب شقتي وقفت أمام المصعد أنتظره،

سمعت حديثًا صادرًا من الشقة ذاتها بين رجل وامرأة، وكأنهما يتشاجران، تسألت يا ترى من هذه المرأة التي معه؟!

هل هو متزوج؟

فتحت باب المصعد وذهبت إلى عملي، وأنا أفكر من تلك المرأة

التي معه!

وبعد يوم شاق طويل عدت إلى

منزلي وارتميت بأول مقعد بجانب الباب لأرتاح عليه قليلًا..

سمعت صوت بالخارج وكأنه من الشقة المقابلة، نهضت بسرعة أنظر من خلال العين السحرية، فوجدت ذلك الرجل يقف أمام المصعد وبجانبه سيدة لا أرى ملامحها جيدًا، نزلا معًا، سبحان الله لقد غاب التعب عندما سمعت صوتهما، هكذا نحن النساء عندما نريد معرفة شيء ما..

حسنًا سأذهب وأتابع أعمالي المنزلية، أدرت الراديو الذي مازلت أستمع له حتى الآن، حيث كان والدي يديره وأنا طفلة كل صباح،

وأنا أستعد كل صباح للذهاب إلى المدرسة، وكأنني بذلك أود أن أحيي تلك الذكرى باستمرار لشدة حبي لها، فقد كنا لا نحمل فى هذه الأيام همًّا لشيء.

مر الوقت سريعًا وأنا أتابع اعمال

منزلي، وقد أنهيتها سريعاً لأذهب إلى بيت جدتي المريضة لأزورها، ركبت الأتوبيس، جلست بجوار

الشباك، جلست بجانبي امرأة، تبدو بالأربعين من عمرها، سألتني كم الساعة؟

قلت: إنها الخامسة.

ردت: وكأنها تتمتم بين نفسها،

سوف يطردني زوجي من المنزل. فقلت لها خيرًا.. لماذا سيطردك؟ قالت: لقد تأخرت اليوم بالعمل، ولم أجهز طعام الغداء وسيسمعني أحلى الكلمات.

قلت لها اشرحي له السبب، وسيسامحك.

قالت: أنتِ لا تعرفينه، إنه عصبي، وسيء الطباع، ولا يرحم، ويعتبر نفسه في تلك الحالة طرطور البيت وأنني لا أحترمه ولا أقدره.

ماذا؟ (رددت بصوت يملؤه الضحك) طرطور!

زوجك أنتي أيضًا يقول لكِ هذا الكلام؟

إنهم فعلاً لا يقدرون تعبنا ومشاركتنا لهم في أعباء الحياة، لا أحد يرحم،

لا تحزني عزيزتي فأنا أيضًا مثلكِ، يفعل معي زوجي ما يفعله زوجك معكِ.

ردت: أعلم فجميع الرجال بمجتمعتنا الشرقية يتشابهون وودعتها بنظرة مشفقة ونزلت أمام البيت الذي تعيش به جدتي.

صعدت السلم فلم يكن هناك مصعد في تلك المنازل القديمة، فتحت باب الشقة بمفتاحي الخاص الذي أعطته لي جدتي، فكذلك فعلت مع كل واحد منا، أعطت كل واحد نسخة، لأنها لا تقدر أن تفتح الباب لشدة مرضها، وخوفها أيضاً من أن تموت

يوماً دون أن يدري أحد منا فلا تجد من يفتح لها الباب، أطال الله في عمرها فهي بركة العائلة..

ابتسمت لي عندما دخلت عليها الغرفة، فقد كانت بانتظاري، وفرحت جدًا عندما وجدتني صنعت لها كيكة الذرة التي تعشقها، أكلت منها ودعت لي.

تذكرت تلك المرأة التي كانت في الأتوبيس، قلت لها ادعي يا جدتي لتلك المرأة التي ركبت بجواري اليوم وأنا في طريقي إليكِ، فقد كانت خائفة من زوجها لأنها تأخرت بالعمل ولا يغضب زوجها، ويتشاجران معا دائما.

قالت: حاضر سأدعو لها،

ما اسمها؟ فقلت: لا أعلم

قالت: إذن لمن سأدعي؟

بعد تفكير.. يا جدتي المهم نيتنا لها، أخذت تدعي وأنا أستمع لها بكل انتباه إلى أن فرغت.

سألتني: وأنتِ، كيف حالك مع زوجك؟

قلت: الحمد لله، لكن قولي لي يا جدتي، لماذا الرجال جميعًا لا يقدرون تعبنا؟! ونحن من نقوم بكل شيء في المنزل، ونعمل بالخارج أيضًا لنساعدهم في مصاريف المنزل، وهم لا يقدرون ذلك، فتلك المرأة آتية من عملها، ولم تكن تتنزه مثلاً، مع صديقاتها ولا يملكون إلا كلمة أنا طرطور.. طرطور.. تلك الكلمة التي يقولها زوجها وزوجي..

ضحكت جدتي كثيرًا ثم قالت: لقد كان جدك أيضًا يقولها.

نظرت لها بتعجب: أنتِ أيضًا يا جدتي!

قالت: أجل يا ابنتي.. فعندما لا أستشيره في أمور البيت، وأفعل أي شيء دون علمه كان يقولها لي.

حسنا يا جدتي، إنهم جميعا مثل بعضهم، لا يعجبهم العجب.

مر الوقت، ثرثرنا كثيرًا حتى جاء ميعاد عودتي إلى المنزل، نزلت

مسرعة من عندها، لأصل إلى البيت، وأعد طعام العشاء لي ولزوجي، ونشاهد التلفاز قليلًا قبل الخلود إلى النوم.

صباح يوم جديد ..

اليوم كان إجازة، نهضت مبكراً كعادتي، أفتح الشباك وأتنفس الهواء النقي، وأشاهد السماء كيف تبدو، هذه طقوسي اليومية، وجدت تلك المرأة تقف بالشباك المقابل، لم يكن هذه المرة الرجل..

ألقيت عليها الصباح، وردت بصوت هاديء:صباحك أجمل.

دخلت من الشباك وأنا أوبخ نفسي.. لماذا لم أستغل تلك الفرصة وأسألها من تكون؟

لكن الفرصة لم تضيع والحمد لله،

فعندما أخرجت صندوق القمامة وجدتها أمامي تخرج القمامة

أيضًا، فذلك ميعاد وصول رجل النظافة، تشجعت ورحبت بها، أهلاً بكِ، هل أنتم سكان جدد هنا؟

فقالت لي: لا كنا نعيش بالخارج وعدنا للتو لننقل أعمالنا إلى هنا، وتركنا ابني هناك، سيكمل امتحاناته ويلحق بنا، تمنيت له التوفيق،

وأكملت حديثها وكأنها تفكر فيما كنت سأسألها عنه..

وزوجي ذهب لمقر الشركة لينهي بعض الأعمال، ويعود ليأخذني، نذهب للشهر العقاري للتنازل له عن قطعة أرض كان يكتبها باسمي ليقيم عليها مشروعًا سكنيًا ضخمًا..

تبدو لي امرأة ثرثارة، كنت أحدث نفسي.

فقلت: لها بالتوفيق وأهلًا بعودتكم وأنرتم البلد.

فقالت: أستأذن منكِ لأجهز حالي حتى لا يأتي زوجي ويجدني غير جاهزة، فيغضب.

فقلت: تفضلي وآسفة إن كنت قد شغلتك.

أغلقت الباب، وقد فعلت ذلك أيضًا.

دخلت لأتابع أعمالي سريعاً لأذهب إلى المتجر وأحضر طلبات البيت،

فاليوم فرصة جيدة لذلك، ولدي الوقت الكافي لأقوم بتلك الأشياء الممتعة التي نعشقها نحن السيدات.

أنهيت أعمالي سريعًا، ارتديت ملابسي، أخذت محفظتي ومفاتيحي، فتحت باب الشقة لأجدهما أمامي..

الزوج والزوجة وبصوت مسموع قال لها: لقد أخرتينا عن الموعد أنتِ لا تبالي، ولا تتحملي مسؤولية شيء، ولا تضعي كلامي باعتبار.

أحسست أن المرأة تشعر بالخجل مني،

وتمنيت لو أنني تأخرت قليلاً بالداخل حتى لا تشعر هي بالإهانة أمامي، لكني خرجت من أفكاري على دوي كلمة أعرفها جيدًا.. طرطوور

ماذا؟

هل أنت أيضاً تقول تلك الكلمة؟

هل الحياة بالخارج لم تُنسك تلك الكلمات؟

لكن تلك الكلمة جعلتني أتعاطف معها، نظرت إليها وغمزت لها بعيني وبيدي..

أشرت إلى رأسي، وكأنني أقول لها كبري عقلك.

ضحكت لي ونزلت مع زوجها، وجلست أنا أنتظر المصعد وأفكر في تلك الطراطير المظلومة، والتي صنعت لتجلب لنا ولأولادنا البهجة، وليس ليستعملها الرجال لإلقاء التهم على زوجاتهم.. وأعتقد أنها المورثات البالية التي نتناقلها من أفوه أجدادنا وآباءنا، ولا أعلم إلى متى سيظل الحال هكذا!

طريق عاثر

شتاء قارص يعصف برمال وأتربة على الطريق الصحراوي، الرؤية معدومة، كثير من السيارات توقفت للاستراحة خوفاً من وقوع حادث لهم، قليل من تابع طريقه،

وهو منهم، كان شخصًا أرعنًا متسرعًا، لا يجيد الصبر، أكمل طريقه ولم يهتم بتلك الأمور لا تشغل له بال،

يقود سيارته بطريقة جنونية كما هو معتاد، شاب مستهتر لا يحمل عبء شيء، يظهر فجأة جسم أمامه،

لا يعرف ما هو!

يضرب فرملة سريعة جعلت

السيارة تلف حول نفسها عدة مرات مسرعة على الطريق الممتلئ بالرمال الناعمة، لتستقر به على باب حديدي عال لمزرعة، ،يخرج رجل ضخم منها ينظر داخل السيارة ويشير بإصبعه إلى أحدهم ليأتي ويحمله.

يحملونه للداخل بصعوبة، يضعونه بغرفة ويخرجون، بعد قليل، يأتي شخص لفحصه وعمل إسعافات طبية..

أعطاه حقنةً، دخل في غيبوبة، لا يعرف كم من الوقت مر به هناك، فتح عينيه،

بدأ يستعيد الأفكار ويتذكر ما حدث،

يحاول أن ينهض من السرير ليرى المكان، ولكن دخل أحدهم الغرفة.. حمدًا لله على السلامة.

سأله: أين أنا؟

قال: أنت بأمان لا تقلق، سأحضر لك بعض الطعام، سأله: أين سيارتي؟

قال: بالحفظ والصون لا تخف

بعد أن تناولت الطعام،

طلبت منهم أن أغادر المكان، ولكنه ابتسم لي وخرج وأغلق خلفه الباب بالمفتاح شككت بالأمر ما هذا؟

لماذا يغلق خلفه الباب؟

ماذا سيفعلون بي؟

بدأ صبري ينفذ، وقفت وأخذت أقرع الباب بشدة، أكاد أن

احطمه من شدة غضبي، ولكن لا أحد يرد ولا أي اهتمام، الشباك عليه حديد ولا أستطيع الهرب منه، جلست أفكر، إنهم بالتأكيد لصوص، محتمل أنهم يراقبونني من خلال كاميرات، سأختبئ خلف الباب لحين يمر عليّ شخص ما، من سيأتي المرة القادمة، ربما أمكنني الهرب منهم، انتظرت كثيرا إلى أن أتى أحدهم، وبالفعل وقفت خلف الباب وأمسكت رقبته وألقيت به على الأرض وخرجت منها مسرعاً، لكن المكان مظلم لا أعلم إلى أي مكان سيقودني الطريق؟

اختبأت بين أشجار كثيفة، حتى يظهر أول خيط من خيوط النهار،

لا أحد هنا من حسن حظي، لكن بعد قليل فتح باب، خرج منه رجل شبه عارٍ مغطى جسده بالدماء، يصرخ يا غبي كيف تتركه يذهب، يدخل لذلك المكان، يغلق خلفه الباب بقوة، يقتلني الفضول أريد أن أعرف ماذا يفعلون؟!

اقتربت منهم بحذر شديد، نظرت عبر ثقب صغير بالحائط،

تراجعت مذعورًا مما رأيت، جثثًا

لبشر معلقة مثل اللحوم عند الجزار، يا ويلي هل هم تجار أعضاء بشرية؟

جريت اختبأت منهم مرة أخرى خوفًا من أن ينفضح أمري، أي حظ سيء رمي بي هنا، جلست بين الأشجار أختبئ أنتظر بزوغ الشمس، بينما هو مستغرق في مراقبة المكان،

أمسك به شخص وعنفه وجره إلى الداخل، قال له أنت ذكي جدًا لكنك لن تفلت مني، ماذا تفعلون يا لصوص ابتعدوا عني اتركوني، يضحك الرجل ويدخل به إلى المكان المعلق به الجثث البشرية، يتوسل لهم.. إنني أمتلك أموالًا كثيرةً، سوف أعوضكم، اتركوني، إنني مريض.. أعضاء جسدي لا تصلح لأحد، يضحك الرجل فيقول أحدهما:من قال لك أننا تجار أعضاء؟ ماذا تفعلون بكل هؤلاء الموتى؟

إننا نبيع اللحوم، نصدرها للخارج لآكلي لحوم البشر، إن مكسبها كبير، لن تقدر أنت أن تنجي نفسك مهما أعطيتنا من نقود، يبكي على أقدامهم.. اتركوني، خذوا سيارتي وأموالي لا تقتلوني، لكنهم بلا ضمير، ميتون على وجه الإنسانية هم وحوش وليسوا بشرًا، فلن تلين قلوبهم لمثل تلك التفاهات، بكل قسوة وضعوا على رقبته سكينًا

لذبح الخراف بلا رحمة ولا شفقة.

زنزانة فردية

مشاغب أنا.. أثير الشغب كثيرًا كما قيل عني بالسجون، فأنا نزيل دائم هناك، غرفتي محجوزة دوما، حكم علي بالمؤبد في قضية تخابر مع دولة أجنبية..

اعتبروني عميلًا، وذلك لمعرفتي بأحد المسؤولين الكبار بدولة أخرى، ولكن هذا أمرٌ طبيعيٌ، فأنا رجل أعمال، وهذا جزء من عملي، والتحدث بالشؤون الإقتصادية والسياسية أمر عادي.. لكنني أصبحت فجأة خائنًا وعميلًا منذ أن رفضت مشاريع إقتصادية لابن مسؤول كبير على نفقتي الشخصية، وضعوا لي سماعات لتسجيل كل محادثاتي التليفونية، تمكنوا من تسجيل مكالمة تضعني موضع اتهام لا مفر منه، لكن المظلوم لا صوت له هذه الأيام، هؤلاء بلا ضمير، دخلت السجن أول مرة بحياتي، وباعتبار الحال كأي ثري لم يعتد السجون البشعة من قبل فقد اعتبروني من الباكيتة، ما يطلقه السجناء من أسامي على الأثرياء الذين لا يتحملون التعايش في أجواء السجون،

ومن هنا بدأ استنزافي، بدفع النبطشية لحمايتك من بطش المجرمين والسجناء، باعتباري رجل سياسي ومثقف، كنت أقضي وقت فراغي بين الكتب حتى أجد نفسي بعيدا عن المعاملة الوضيعة، ولكنني لم أسلم منهم، كنت أتجنبهم وأتجنب أحاديثهم

وطرق تسليتهم التي تسمى بالعنبرة، في حالي لا أحب إثارة المشاكل ولكنها كانت تحب إثارتي واللحاق بي، وشي بي أحدهم عند سجين (قاتل محترف) بأنني أملك نقودًا كثيرةً، طلب مني مبلغًا كبيرًا لأحضره أو إحضار ممنوعات للسجن لهم،

ونصحني صديق لي أن أحضر لهم طلباتهم منعا للمتاعب، وبالفعل أحضرت لهم طلبهم عن طريق زيارة جلبوا لي بعض الأطعمة من الخارج، وبلغة السجن تسمة زيارة طبلية،

أي لا ترى أهلك أو من أحضرها لك، لكن الزيارة يتم استلامها بمعرفة الحراس، وتم تفتيش الزيارة.. ومن سوء حظي عثر على الممنوعات بها، وإذا بي أذهب في تغريبة الزنزانة فردية، ارتميت بها ومن ظلم لآخر، ومن سجن لآخر، بمفردي أحيا بين جدرانها، لا أرى شيئًا إلا خيالات تمر من شباك الزنزانة أو ما يسمى بالنظارة، وكان حبسه الانفرادي لمدة ثلاثة شهور.

بالبداية حمدت الله على ابتعادي عن الجميع، ولكن بمرور الوقت شعرت بملل وتعب، فلم يكن من حقي الخروج من الزنزانة إلا ساعتين كل يوم للتريض، وباقي اليوم محبوس بمفردي، ممنوع من أبسط حقوقي حتى وهو النوم على سرير، ودخولي الحمام كباقي خلق الله، ولكنني شعرت أنه حادث مدبر لي لا أكثر من قبل المعنيين بعد معرفتهم أنني أعيش بنقودي داخل السجن،

ولكن لا أيأس أبدا، وسبحان من ألهمنا الخيال فإني كنت بين أربعة جدران محبوس ذليل، إلا أنني أحلّق بخيالي في سماء الحياة كطيور النورس التي تعشق التحليق على المياه كالبحارة، تجوب العالم برحلتها البحرية،

وأنا أجوب كل العوالم من هنا.. من زنزانتي.. وسأحيا كما يحلو لي ، وتبا لهم جميعا.

قررت عدم الاستسلام، فأنا أنتظر الطعن في حكم المحكمة بالمؤبد

في قضيتي، وأدعو الله أن يرفع عني الظلم، ولكن الغريب هناك بالسجن أن الجميع مظلوم.. جميعهم.. القاتل والسارق والمرتشي وتاجر المخدرات كل منهم لديه أسبابه المقنعة لفعل جريمته، ولا أعلم من المظلوم ومن الظالم.

ومن أقسى الأشياء التي رأيتها هناك الإهمال الطبي والمعنوي،

من يمرض يشتري الدواء علي نفقته الشخصية، وإلا فإن الكثيرين يموتون أمامنا، ولا أحد يتحرك، ومن أبشع الطرق التي أصيب بها البعض بمرض فيروس سي، ويرجع ذلك للأسف أن الجميع يستخدم ماكينة حلاقة واحدة، قصافة أظافر واحدة، وكيف لا ينتقل المرض، وكلنا تحت رحمة من لا يرحم ومن هنا أطلق على لقب مشاغب، لأنني كنت كثير الانتقاد لأحوال السجن، ولأنني أصبحت وحيدا لا صوت لي، بدأت أعيش

حياتي بطريقتي الخاصة التي تساعدني على الاستمرار وعدم قتل نفسي، أصبحت أرتاد مدن الخيال، ذاكرتي ممتلئة بالكثير من الذكريات الجميلة، أحب أن أتذكرها، قررت أن أعيش بالوهم والخيال كي لا أصاب بالجنون.

جاءت لي اليوم حبيبة قديمة، فتحت باب الزنزانة دخلت إلي بابتسامة ساحرة، ترتدي رداء حريريًا أسودًا مرصعًا بفصوص الماس، وخاتمًا ماسيًا كنت قد أهديته لها العام السابق ونحن بإيطاليا.

استقبلتها بحفاوة، قبلت يديها، سحبت لها الكرسي لتجلس عليه ثم جلست أنا، وصفقت بيدي، فجاء النادل ووضع كؤوس الماء وسألنا: ماذا تريدان على العشاء؟

قلت لها سأطلب لكِ كما اعتدنا. أشارت لي بإيماءة موافقة،

أمسكت يدها وبدأ حديث خافت بيننا، فحيطان السجن لها آذان،

دعوتها للرقص على أنغام حالمة، وكانت كالفراشة بين يدي، أطير معها بخفة ورشاقة، طرق علي الباب بقوة، نظرت بفزع: من الطارق؟

كان أحدهم ألقى إلي الطعام وأغلق الباب بقوة.

هدأت، وبدأت أدعوها لتناول الطعام معي، جلست بجانبي تطعمني بهدوء ونعومة إلى أن غفلت عيناي،

صوت خشن غليظ ينادي علي: قم يا مسجون لتنظف زنزانتك.

نهضت سريًا وخرجت منها وأنا كلي إرهاق.

جاء المحامي لزيارتي و طمأنني بقبول النقض، أعادوني للزنزانة.

اليوم سأقص عليكم قصة يا صغاري فأنا مشتاق لكم كثيرا.. أفتقد البيت والجو الأسري.. لم أكن متزوجًا، ولكن أبناء أختي كانوا لي بمثابة أطفالي، أحبهم كوالدهم الذي لم ينجبهم، كنت أمسك كتاب الحكايات ويلتفون حولي لسماع قصصي، ومداعبتهم وكانت ضحكاتهم تملأ المكان، أسمعها بأذني الآن، هي جميلة.. هي البراءة.. تشعرك بأن كل شيء بخير.

أسمع صوت قرع طبول، وأصوات هتاف، أسير بجوار برج إيفل، الجميع يرقص ويغني بحرية لا أحد يحاسب أحدًا، كانت تجلس وحيدة تستمع لهم بإمعان، جذبني فيها جمالها الهادئ وشعرها الاسود الطويل،

تشبه نساء العرب، اقتربت منها وسألتها عفواً هل أنتِ فرنسية؟

ردت: أنا جزائرية، أدرس هنا بفرنسا، مع خالي الذي يعيش هنا وأقيم لديه.

وبدات قصتي معها، بطبيعة الحال هي مقيمة بفرنسا، منذ عدة أعوام عرفتني على أجمل

الأماكن، زرت متحف اللوفر، وجلست على نهر السين، أمسية رومانسية جميلة، وتناولت أجمل الأطعمة في أفخم مطاعم باريس، كنا ملتصقين ببعض، لا نفترق لمدة أسبوعين،

إلى أن جاء وقت رحيلي، بكت وكأنها تعرفني من سنين، لا أعلم هل أحببتها مثل ما أحبتني أم كانت مجرد ذكرى!

بين الماضي والحاضر العقيم أعيش أقلب في ذكرياتي كمن ينقب عن الذهب ليجد شيئا ثمينا يسعده، لم أعد أعرف طعم الأيام، ولا عددها، حتى أسمائها..

وذات مرة وأنا بالخارج نظرت على التقويم وأحضرت معي طبشورًا أحسب الأيام الباقية لي داخل الحبس الانفرادي، وبدأت حساب الأيام بدأت أمارس هوايتي القديمة.. الرسم.. ووجدتني أرسم مشنقة ورجلا معلقا بها، وأخرى نخلة وغيرها، صور أجسام سيدات جميلة، لفت انتباه أحد الحراس الذين يحضرون لي الطعام، فكان منبهر جدًا بها، مر شهر وأنا لحالي،

مللت كل شيء ،بدأت أنهار داخليا، لن أعترف أنني كنت غبي عندما رفضت طلبهم، هم بالخارج ينعمون بالحرية وأنا هنا حبيس زنزانة فردية، أحصي الأيام، أخرج ولكن فقط للسجن العام وليس خارج أسواره، طالت غربتي بداخل الأيام التي نعيشها هنا والنتيجة التي حصلت عليها من حاصل ضرب الخيبات هب أن الإنسان يموت ألف مرة وهو على قيد الحياة.

بالسجن مرة وبانتظار مرة أخرى لشيء لا يأتي، نسبة حدوثها ضعيفة،

وأصبحت ضعيفًا في الحساب والأرقام، بعد أن كانت لعبتي وسؤال حائر على لسان الغيب: هل سأخرج للحياة مرة أخرى؟

أم سأظل حبيس وحدتي وأيامي المرهونة بالخيال!

سأظل أبتاع الأمل مع كل شروق شمس يأتي!

حتى بأيام الضباب سأنتظر انقشاع الظلام إلى أن يحين يوم أستظل فيه برحمة الله.

سكرات عشق

صحفية تعمل بجريدة محلية.. تحت التدريب، كل أمنياتها أن تحلق بسماء الصحافة، أن تنحت اسمها بين كبار الكتاب والصحفيين..

كانت جميلة بنسبة لا بأس بها، ذكية، لكن لا تعرف اللؤم ولا الخبث..

تدخن أحيانا.. سريعة العدو في التقدم.. في أشهر قليلة عرفت أن تضع أقدامها على أول الطريق.

تعرفت على كاتب وصحفي له اسمه في الأوساط العالمية.. كان يكبرها بما يقرب من عشر سنوات، وسيما لدرجة الانبهار، كان عمره في منتصف الثلاثينيات غير متزوج،

زير نساء بالطبع، وهي لا تعلم عنه شيئا، فهي جديدة بالمجال، وما زالت تحت التمرين..

أعطاها فرصةً للتدريب معه، كانت فرحة جدًا، لكنها لم تكن تعلم أنه لا يمنح أحدا شيئا مجاناً، فهو بارع في عمله وعلاقاته، ينصب الفخاخ للنساء التي تثير إعجابه.

كان يصطحبها معه في كل مكان.. ندوات وحفلات وصالونات أدبية وتغطيات إعلامية.. كل مكان..

كان ذلك بحجة التدرب، وهي تتمنى أن تثقل نفسها بالتجارب الحقيقية، كلاهما كان يبحث عن ما يفتقده في الآخر.

لم يظهر عليه أي شيء في أول الأمر يجعلها تنفر منه أو تشعر أنه يعاملها كفتاة لتمضية الوقت والتسلية، بل لم يشعرها بشيء منذ البداية..

كانت نشيطة، سريعة، ذكية،

لدرجة أنه نسي معها فحولته الذكورية.

اعتادت عليه..

ذات مساء طلب منها الخروج لسهره عمل، ذهبت وتأنقت، ارتدت فستانًا أسود اللون، وبعض الحلي البسيطة،

تركت شعرها ينسدل على كتفيها.. كانت مختلفة، بها من الجمال ما يلفت انتباه أي رجل..

لم يصدق عينيه، انبهر من أول وهلة، فتح لها باب السيارة، وانطلق إلى المكان المخصص لسهرته، مر الوقت وسارعا بالمغادرة، بعد انتهاء السهرة ركبا السيارة، وهم بالطريق توقف قليلًا على جانب الطريق بحجة أن السيارة بها شيء معطل، العربة ساخنة بعض الشيء، ما رأيك أن نترجل من السيارة، ونشرب كوب شاي ثم نغادر ؟

وافقت على الفور..

لم تكن تعلم نواياه، وقفت بجانبه بينما هو يعطيها كوب الشاي، لمست يداه أصابعها عن عمد، شعرت ببعض الانزعاج والخجل، سرعان ما فتح الحديث بينهما..

حدثيني عن نفسك، وقد أشعلت سيجارة زادت من جاذبيتها وأنوثتها بعينه.

ردت بعفوية: وهي تنفس الدخان من شفتيها. لا أملك ذكريات كثيرة، لكنني أعشق الصراحة والبساطة، فهما أسلوب حياتي.

سألها: ماذا عن أمنياتك؟

قالت: هي أمنية واحدة.. أتمنى أن اصبح مشهورة في مجال عملي.

نظر لها طويلاً ثم أبدى إعجابه بها وبإصرارها على النجاح.

قالت: هل هدأت السيارة.. لا أحب أن أتأخر أكثر من ذلك.

رد: إذن هيا بنا يا فاتنتي الصغيرة.

بعد أن استبدلت ثيابها استلقت على مخدعها تفكر به، وبكل كلمة قالها لها، هل هو معجب؟

ولماذا رجل وسيم وناجح مثله لم يتزوج إلى الآن؟

في الصباح وجدت نفسها

تهتم بمظهرها، تضع أحمر شفاه فاقع اللون، تنتعل حذاء بكعب عال زادها طولا وإغراء..

وقفت أمام المرآة كثيرًا، تتطلع إلى نفسه، ذهبت وهي راضية عن نفسها تمامًا، حيث اجتماع مفاجيء بالعمل، دخلت متأخرة بضع دقائق، عندما فتحت باب غرفة الاجتماعات، شعرت أنه يتفحصها من رأسها لقدميها، مما جعلها تشعر وكأنماء مثلج انسكب عليها، شعرت ببرودة تسري بجسدها

وكأنها عارية، لم تسمع كلمة واحدة طوال الاجتماع..

أخذت توبخ نفسها على اهتمامها المبالغ بنفسها، معت صوته ينادي: آنسة لو سمحتِ هاتي دفتر المواعيد.

جلبته له بابتسامة باردة تركت الاجتماع، لكنه كرجل له خبرة واسعة بعالم النساء كان يعلم أنها وقعت في شباكه،

ومن هنا بدأ يتعامل معها بطريقة أخرى، صياد وفريسة، ينصب لها أفخاخًا من حلو الكلمات والنظرات، وبعض الابتسامات الساحرات التي كانت تلوي قلبها عنفا بدقاته السريعة الصاخبة تكاد تخفيها خوفًا من سماعها وهي بجانبه،

بدأ يدعوها للخروج والسهرات بشكل مستمر..

أغدق عليها بالهدايا الثمينة، بدأت بعض الهمسات من المحيطين، تناولتها شهية نهمة،

أصبحت حديث الموظفين والعاملين : حبيبته الجديدة.. الضحية التالية.. لم يكن أحد ليستطيع أن ينبهها منه خوفًا من فصله من العمل.

لم تقابل يوما رجالًا مثله، ولم تمتلك الخبرة التي تساندها للتعامل مع أمثاله، غرقت في بحوره.

كعادته بعد أن تشبع منها انتابه الملل، تحجج بسفره لفترة، وأنه سيغيب عن العمل فترة، وأنها عليها أن تتابع العمل مع شخص آخر، أرسلها لمكان بعيد لتكمل تدريبها هناك، كي لا يفوتها شيئا من اكتسابه..

بعد أن ذهبت مرغمة إلى قطاع آخر، إلا أنها كانت تسأل يوميا عنه، وتجيبها السكرتيره: ليس هنا.

بدأ القلق ينتابها، تتساءل بينها وبين نفسها: هل يتهرب مني؟!

قررت أن تذهب إليه في مقر عمله، وبالفعل ما توقعته وجدته.. انصدمت، انكسرت روحها وهي تراه مع فتاة جميلة جديدة يركبان السيارة معًا، يفتح لها الباب كما كان يفعل..

دموع من قلبها وليس المقل، نزيف من الألم يغدقها بحياة كلها ندم وحسرة، تمسك القلم والقلب يدمي، تكتب من شدة حزنها خاطرة لا تنشرها باسمها وهي تعلم أنه سيقرأها..

حين أجهضت حبك حمدت الله،

كان يعلم بعقوقك لي.. فلم تكن أنت الرجل البار بحبيبته ولا بغيرها..

انت الرجل العاق الذي لا يملك بر وإحسان للمرأة.. لا تملك إلا كلمات مفخخة الإيقاع بالفريسة السهلة الجائعة التي تلقي لها ببعض الحب الجاف وتعطره بعطر كلماتك الفواح.. وحين تقترب وتتذوقه ستعلم أنها وقعت في شرك، وليس في أرض خصبة تنعم فيها بالأمن والأمان.

تترك العمل وتبتعد عن عالمه، تعيش بروح منهزمة مهشمة، تشعر بسكرات الموت ولا يأتي، تموت ألف مرة ومرة، كمدمن يخرج سمومًا من جسده محاولًا أن يتعافى من إدمانه..

لا تملك إلا أن تقيم جدار روحها المنكسر من جديد بنفسها..

تتذكر خيباتها معه ولكن لا تلومه،

بل تلوم نفسها.

الصندوق واللعنة

يحكى أن رجلاً كان فقير الحال، لا يملك قوت يومه، يعيش وحيدًا، لا يحمل هماً للدنيا، طيبًا قنوع النفس،

من شدة طيبته كان يصدق أي شيء يراه،

يوما ما كعادته كل مساء، جالساً بشرفة منزله التي تطل على مساحات واسعة من الأراضي ببلدته الفقيرة، شارداً بنظره، ربما يفكر بحاله، أو بفقره، أو يتمنى من الله أمنية،

طيبته كانت تتحكم بأفعاله، لذا انبهر ببريق لامع جذب نظره من بعيد لا يعلم ما هو، أثار فضوله الذي حمله إلى الأسفل، ليرى ما هذا الشيء ليجد يدا معدنية يبدو أن لها جسم مدفون تحت التراب، جذب اليد بصعوبة بعد أن أخذ يحفر الأرض، ليظهر له صندوق صغير، يحمله ليعود به مسرعًا إلى منزله بكل فضول ولهفة يحاول أن يفتحه، لكنه مغلق يحتاج لشيء أقوى، أحضر مطرقة، وبضربة واحدة كسره وهو يتمنى أن يجد به كنز سليمان، لكن للأسف لم يجد إلا رواية قديمة محفور على غلافها نقوشًا غريبة، ينظر لها باستغراب، يلتقطها بيده، يمسح ما عليها من أتربة، بخيبة أمل يأخذها معه لغرفته، يستلقى على سريره، وبضوء خافت بجانبه يبدأ بقراءتها، كانت صفحات الكتاب قديمة مهترئة، مع أول سطر قرأه شعر أن هناك شيء ما يتحرك بالغرفة، ينظر حوله، كل شيء موجود بمكانه، يعود للكتاب ويمرر عينه على الأسطر سريعًا ويفر في الصفحات، وبملل يلقي به جانبه ليخلد للنوم، وأمثاله لا يهتمون بالكتب والروايات، يتقلب بسريره قلقا، بالكاد يفتح عينيه ليشعر بشيء غريب غامض مظلم بغرفته يبدو كشخص، لكنه بدون ملامح يتحرك سريعاً يظهر على الحائط، على السقف، لكن لا جسد له واضح المعالم كالظل غريب، فجأة انشق الجدار، فتح بابًا مرسوم عليه، لكن ما هذا الباب؟

كيف أتى إلى غرفتي؟

يدخل الظل من الباب، يختفي لكن طرق خطوات أقدامه على الطريق مسموعة، نهض ليرى ما يحدث خلف الباب.

نظر ليرى ما لا تصدقه عين بشرية.. ملايين من الناس مجتمعون..

قرع.. طبول.. أصوات هتاف عالية.. أخذ يقترب ببطء شديد منهم، ليرى جماهير محتشدة يهتفون جميعاً عاش الملك.. عاش الملك..

وجوههم بلا ملامح، أجساد مظلمة، بعد خطوتين من دخوله للمكان يتحول جسده مثلهم، مظلم معتم كالليل في بدايته، تاه في وسط الزحام وبقوة الدفع يسير مع الحشود، ليذهب معهم إلى حدائق واسعة ملئت بالطعام والشراب والفاكهة، يجلسون

ويجلس معهم ليأكل ويشرب، الطعام شهي، لا مثيل له، كل ما لذ وطاب، يلقون بأجسادهم على الأرض، ينامون ويعج المكان هدوء شديد، ينهض ليمر من فوق أجسادهم بخطى مرتعشة خوفًا من أن يفتضح أمره..

يتجول بالمكان، كل شيء من حوله مظلم لا لون له، الأشجار و الشوارع والبيوت، يرى من بعيد فتاة تقف وحيدة أمام نافورة مياة، يقترب منها، يجدها تطعم شيئًا داخل النافورة، نظر ليرى أسماكًا ملونة، يسأل الفتاة: لماذا كل ما هنا معتم باللون والأسماك ملونة؟

تنظر له الفتاة وتقول: أنت لست من البلدة؟

يتلجلج ويخاف أن يفتضح أمره، لكن الفتاة تتركه وترحل، ولا تجب على سؤاله.

خاف بشدة وأراد أن يعود لغرفته لا يعرف طريق العودة، أثناء تفكيره تقف الفتاة وتنادي عليه، أيها الغريب تعال، لا تخف اتبعني فقط.

تبعها وهو لا يملك خيارًا آخر، ربما تساعده الفتاة للعودة إلى حياته،

يسير بجانبها وهو يتلفت حوله لا يعلم ما الذي ينتظره، تقف الفتاة وتنظر له مباشرة، تقول له: لا تخف.. الجميع هنا مسالمون، نحن ننتظرك منذ زمن بعيد، نعلم بأمر قدومك.

تنتظرونني.. لماذا؟

أنت من سيخلص البلدة من لعنة قديمة جعلتنا مثلما ترى بلا لون.

قال لها: ولكن ماذا عن الأسماك؟

قالت: اللعنة لا تصيب المياه.

رد: لكن كيف يخلصكم من اللعنة؟ تخبره: ستمر بعدة اختبارات، إن نجحت بها زالت اللعنة.

يسألها: وإن فشلت؟

تقول: أصبحت هنا معنا حبيبي الحكاية، فلقد أتى قبلك كثيرون، وما زالوا هنا لأنهم فشلوا بالاختبارات، وإن نجحت حررت نفسك وحررتهم معك، ويعود كل شيء إلى طبيعته، يشعر بالخوف ودقات قلبه تتزايد، يقول لنفسه ما هذا الذي أقحمت نفسي به؟

ليتني ما طمعت وهرولت وراء البريق الزائف، بحسرة ينكس رأسه ويسير ببطء شديد خلفها.

سألها: ولكن من جاء قبلي إلى هنا؟ قالت: لن تعرفهم.. إنهم أصبحوا مثلنا، لا شيء يميزهم.

تذهب إلى شجرة كبيرة تحتها حقيبة، تحضرها وتعطيها له، ستساعدك هذه الحقيبة برحلتك، عليك أن تكمل الطريق الآن بمفردك.

تختفي الفتاة في غضون لحظات، يقف حائرًا، لكن ما باليد حيلة،

لا بد أن يكمل الطرق ليحرر نفسه.

يحمل الحقيبة ويسير لا يعلم ما الذي ينتظره؟

مشي كثيراً، تعب، وبأنفاس متقطعة يجلس يستظل بشجرة مورقة الأغصان، يشعر بالعطش يفتح الحقيبة ليرى إن كان هناك بعض المياه، يجد قنينة مياه، بها القليل، تظهر فجأة فتاة صغيرة تطلب منه الشرب، لكنه عطشان جدًا، وبنفس الوقت لا يتحمل عطش طفلة صغيرة أمامه، أعطاها المياه بلا تفكير،

ارتوت الطفلة وتركت له القنينة فارغة، أخذها ليضعها بالحقيبة، نهض يكمل طريقه، ليجد امرأة عجوزًا تسير بجانبه، تحمل على ظهرها أحمالًا ثقيلة، شعر الرثاء والعطف عليها، اقترب منها وسألها: هل يوجد من يحمل عنك تلك الأحمال؟

ترد: إنني امرأة عجوز فقيرة لا أملك نقودا، نستأجر عربة، أو شخصا يحمل عني الأشياء التي أجلبها معي من السوق.

قال لها: اذهبي يا جدتي، وأنا أسير خلفك أحمل لكِ أشياءك.

مشت العجوز، وهو يسير خلفها، تمنى لو حملها هي أيضا..

كانت تجر أقدامها من شدة التعب حتى وصل للمنزل، شكرته وقدمت له بعض الفاكهة والماء.

حمد الله، على الماء والطعام ورحل، من شدة تعبه فكر أن يبحث له عن مكان ليستريح قليلاً، الطريق مرهق والليل أوشك على الدخول، رأى رجلًا بعربةٍ يجرها فرس، إحدى عجلاتها محطمة تريد الإصلاح، يقف الرجل يحاول أن يصلحها لكنه فشل، من شدة تعبه أخذ يفكر هل يساعده أم لا.

لم يفكر كثيرًا، بالنهاية عرض عليه المساعدة فهو بارع في إصلاح الأشياء وتركيبها.. بغضون دقائق يصلح العجلة، بعد أن انتهى عرض عليه الرجل: هل تريد أن أوصلك بطريقي؟

حسنًا لست ذاهبًا إلى أي مكان، ولكنني مرهق، وأريد أن أسترح قليلاً، قدماي متعبتان، يعرض عليه أن يركب معه.

ركب معه العربة بالخلف، من شدة التعب غط في نوم عميق، لا يعرف كم من الوقت مضى ولا كم الساعة ليعرف أين هو!

استيقظ ليجد العربة لا تسير، قفز منها ليشاهد ماذا يحدث،

وجد نفسه أمام نهر كبير والفرس يستحم بالماء، أما الرجل فوجده يقف بجانبهم يلمحه فيلقي التحية عليه ويشير له أن يأتى للاستحمام..

يرغب بذلك، فهو مرهق ومتسخة ملابسه من الطريق، نزل إلى الماء، وبعد أن أنهى اغتساله وخرج شعر براحة غريبة.. قوة وطاقة لا مثيل لهما،

سأل الرجل: ما هذه المياه؟

فقال له: إنها مياه كبريتية تخلصك من الإرهاق والتعب، وتجدد نشاطك وحيويتك.

نظر له وهو يفكر ويقول لنفسه ما هذا المكان العجيب!

أعاد الرجل الفرس للعربة، وبدأ يستعد للرحيل،

فسأله: إلى أين أنت ذاهبٌ؟

قال له: سأنقل أشياء ثمينة إلى بلد بعيدة أرسلها معي الملك، لذلك أخذت الفرس إلى هنا ليستحم،

وينعم ببعض القوة والطاقة من النهر فالطريق طويل.

سأله: كم يوما تستغرق الرحلة؟

قال له: من يومين لثلاثة، ولكنني لم أشعر بالطريق، فالخيل يعرفه وحده، وأنام وأنا مطمئن، وأصحو لأجد نفسي بالبلدة.. لكن لماذا تسأل؟

هل تود أن تأتي معي؟

رد عليه؛ حسنا سأذهب معك، ليس لدي ما أفعله هنا.

ركبا العربة وسارت بهما لمدة يومين، وصلا البلدة باليوم الثالث وتم تسليم الحمولة،

واستلموا بنفس الوقت أموالًا كثيرة، وأشياء ثمينة، وغادروا البلاد للعودة، لتسليمها للملك.

وأثناء طريق العودة تعرضا للسرقة، فقد اعتدى عليهما قطاع طرق يحاولون سرقة الأموال والجواهر، يشتبكان معًا باليد والسلاح، ولكن السائق كان ضعيفًا لم يحتمل،

وانهار سريعًا، وقاتلهم هو ببسالة وقوة لم يعهدها في نفسه من قبل، وهرب السارقان من قوته وبطشه، ووضع سائق الملك، على العربة مغمى عليه، وأكمل الطريق وحده، وقام الخيل بعمله على أتم وجه، وصل إلى باب القصر، فتحت الأبواب له، دخل واجتمع عليه الحرس يوجهون له الأسئلة من أنت؟

وأين سائق العربة؟

يسرد عليهم القصة كلها، لكنهم يضعونه بالسجن لحين شفاء السائق الملكي ليعلمون منه الحقيقة، يمر يوم واثنان وأسبوع واثنان ليتم شهر وهو ملقى بالسجن لا يعلم إلى أين سيذهب به مصيره؟

تمر الأيام ببطء كما هو حال أي سجين بالدنيا، سواء سجين نفسه أو سجين قضبان،

يعيش بملل و نفسية سيئة، يدعو الله أن يمنحه حريته التي اشتاق إليها، فقد كان فقير الحال، لكن لا يحمل هما، ولا يعرف طعم الوحدة والألم في مثل هذه الأيام.

بعد أن يأس من أمر عودته لحياته مرة أخرى جلس يبكي ويدعو الله أن يساعده ويخرجه من محنته..

صباحًا سمع صوت يهمس له ولكن لا يعرف مصدره، ينظر هنا وهناك ولأعلى فلا يوجد أحد غيره، أيها الغريب نادته مره أخرى، كانت تلك الفتاة التي قابلها عند النافورة، ينصت لصوتها.. نعم هو.. أتذكره جيدا ولكن أين أنتِ؟

قالت: انظر من النافذة.

وقف ونظر للخارج ليجدها هي واقفة تلقي له بثمرة تفاح، وتقول له كل هذه الثمره قبل النوم كي تحظي بحريتك.

فعل ما أملته عليه فتاة النافورة، نام.. وعندما استيقظ وجد نفسه بغرفته.. اعتدل من نومه.. نظر حوله.. أين الباب؟

وأين السجن؟

والقصر؟

والفتاة؟

هل أنا تحررت أم أنني كنت أحلم؟

نظر بجانبه ليجد الكتاب ملقى على الأرض، مفتوحا على صفحهطو بها صور نافورة وفتاة بجانبها تطعم أسماكت ملونة، والصورة كلها بالألوان.

التقط الكتاب وفتحه من أوله،

أخذ يقرأ.. كل ما مر به كله هو ما سرد القصة بنهاية الكتاب، وجد بعض الكلمات التي توضح أن كل شخص يقرأ هذا الكتاب سيتعلم منه درسًا لن ينساه، وسيكون بطل الحكاية بأحداثها التي مر بها، وإن كان شخصًا جيدًا وطيب الأصل وبه خصال جيدة سيخرج من الحكاية ويعود للواقع يعيشه مرة أخرى، بمروره بعده اختبارات لتظهر معدنه الطيب وأمانته وصبره ومساعدته للغير، وسيجد مايسعده بنهاية الأمر، وعليه أن يعيد الكتاب إلى الصندوق مرة أخرى، ويذهب لدفنه بأرض بعيدة عنه ويتركه، وسوف ينساه تلقائيا بعد ذلك.

وبالفعل قام وفعل ما كان يجب أن يفعله وعاد مساء إلى منزله وهو بلا ذاكرة تحمل أي فكرة عن الصندوق، ودخل غرفته ليجد حقيبة صغيرة ملقاة بجانب سريره، فتحها ليجد بها قارورة الماء التي شربت منها الطفلة، وبجانبها كيس ممتلىء ببعض من الجواهر التي أعادها إلى الملك، ولكنه لم يستغرب هذا كله بعد فقدانه الذاكرة، وكان الأمر بالنسبة له كشيء متوقع حدوثه، وتغير الحال للأفضل ولم يعد ذلك الشاب الفقير الذي لا يملك قوت يومه بل أصبح غنيًا، ولكن غنى النفس وليس المال، بعد أن تعلم درسًا مهمًا بأن " القناعة كنز لا يفنى"، وعاش بقناعته.

نحيب جسد

بخطى مرتعشة تعود سما لغرفتها منهكة لاتزال تحت تأثير الكيماوي، لمحت وجهها بالمرآة وهي تسير لمتعد تلك الفتاة التي كانت محط إعجاب الكثيرين، صارت شاحبة اللون لا ملامح لها كعجوزٍ بعمر الثمانين..

بصعوبة تتنفس، تلقي بجسدها النحيل على السرير وبذاكرتها آخر لقاء..

حمد يلقي محاضرة بالجامعة، تشاهده من بعيد كي لا يلاحظ وجودها.

تدخل الممرضة تعلق لها المحاليل، لم تجد لها أي عروقٍ لتضع لها الكانيولا، وضعتها بصعوبة.

شاردة بفكرها، أعلم أنني أموت، تمنيت أن أراك للمرة الاخيرة،

لكي أخبره بمدى حبي له، لكنني لا أريده أن يشفق علي، لقد أعطيت لصديقتي الدبلة لتخبره أن كل شيء نصيب، أعلم أنه يتألم، لكن حين

أموت وينساني سيكون الألم أخف، أيام قليلة لي وأفارق الحياة، تدخل والدتها غرفتها وهي تنظر لها بكل حب ودموعها محتبسة بعينيها..

هيا يا سما سنغادر الآن لقد أنهيت الجلسة.

تستند على كتف أخيها بصعوبة،

بأذنها صوت أحمد وهو يغني لها، كانت تحب صوته كثيرا،

تمنت لو كان بجانبها وهو متكيء عليه ببطيء شديد، تصعد درجات السلم ،تتركها والدتها لتستريح،

تقول لها: سأعد لكِ بعض الطعام. تتصل صديقتها تطمئن عليها ..

بصوت ضعيف مرتعش تسألها عن أحمد، لتخبرها أنه بخير، وأنه سيأتي اليوم لزيارتها،

تمسك الهاتف لتشاهد صورهم معا، تحتضنه ودموعها تنهمر في صمت، تفيق من النوم على صوت والدتها: سما.. جاء ضيف لزيارتك،

يدخل أحمد غرفتها، يقترب منها، بعيون يملؤها الحب والحنين، يقول:

لقد أخطأت هذه المرة،

المرض من عند الله سبحانه، لن أتخلى عنكِ، أمسك بيدها وهو يقول: رغم حزني وألمي مما فعلت إلا أنني الآن ارتحت.

تبتسم بمرارة، وتقول: لا ترهق نفسك، أنا في تعداد الأموات.

يقول لها بصوت حزين:

لا تستسلمي، قاومي لأجلي، أحبكِ.

بعد مرور ساعات يغادر ويترك لها السعادة بين كفيها.. كم هي ممتنة له، لقد شعرت بالتحسن، تتمنى لو يقضي الأيام الباقية لها بجانبها.

تدخل أمها لقد طلبك أحمد للزواج. تنهار دموعها وبحسرة تبتسم، تقول؛أنا أموت.

قالت أمها: لقد قال أنه سيعود.. استعدي.

لا تصدق ما تسمعه، هل جن جنونه؟

اتفق مع أمها أن يقضي بقية الأيام بجوارها.

في المساء يرن جرس الباب، تسمع أصوات وهمهمات.

جاء أحمد.. يجب أن يراني بشكل أفضل.. سأقوم وأرتدي الفستان الذي يحبه.. وأضع قليلًا من المكياج ليعيد بعض الحياة إلى وجهي.

تدخل أمها، تقول لها:

ماذا يا أمي؟

هل جاء احمد؟

ترد أمها: يا سما، لن يأتي.

تقول سما: لقد تخلى عني، كنت أعلم أنه أمر صعب عليه، أسامحه يا أمي.

لا يا صغيرتي هو لم يأتِ بالفعل، ولكن اعلمي أنه يحبك،

لقد اختاره الله سبحانه وتعالى اليوم إلى جواره بعد أن غادر بحادث سيارة.

تضعف قواها، يحملها الأب والأم ليضعاها،

لا أصدق ما حدث أتمنى أن أموت الآن كي ألحق به..

تبكي طوال الليل، تذهب صباحًا مع أمها للعزاء، انهارت أمها بالبكاء واحتضنت سما.. لقد مات أحمد، كان يحدثني البارحة ويخبرني بأمر زواجكما وهو سعيد، تبكي سما بحرقة وبألم يعتصر قلبها، تمنت لو هي من فارقت الحياة، تعود لمنزلها.

لم أعد أحتمل العيش، أتمنى أن يأتي الموت سريعًا بعد أن كنت أتمنى الشفاء، لا حاجة لي بالشفاء ..

أنتظره بلهفة، يجمعني الله سبحانه به بالجنة.

اللعبة

وضعت حدودًا بينها وبين كل الرجال كحدود الدول، لا يسمح بالسفر عبر أراضيها إلا بإيجاز مرور، فحدودها خطوط حمراء لا يجوز أبدًا عبور مياهها الإقليمية، أو الإبحار بزورق الحب للوصول إلى قلبها،

كانت تنجح دائما وأبدا في صد الجميع، خاصة من يرى نفسه وسيمًا، حينها تتعمد تجاهله، بل وإهانته.

لم يقتحم قلبَها رجالٌ قبله ولا بعده، كانت تخبئ داخل قلبها شخصًا واحدًا لا يعرفه أحد،

يرقد هناك داخل أسرارها السردابية العميقة، حلمًا تبلور من ماضيها المأساوي.

فتاة جميلة تتميز برقتها البالغة وأنوثتها الطاغية، عاشت مع زوج أمها، عانت منه الأمرين، يفرض عليها سيطرته مقابل أن تتعلم وتكمل تعليمها الجامعي الذي كانت متنفسها الوحيد من تلك الحياة،

تقرأ كثيراً بغرفتها سرًا، مقيمة في دنيا الخيال أكثر من عالم الواقع، تهرب كلما اختنقت لتحلق بسماء إحساسها الذي يشبع رغبتها في التحررمن قيوده،

تعرفت على إحدى الفتيات التي تعيش حياتها بحرية مطلقة، لا أحد يحاسبها.. كانت تتمني أن تعيش مثلها، حرة لا يقيدها شيء.. أخذتها معها أحد النوادي التي تتردد عليها، وهناك رأته وعرفته أو هكذا ظنت، أرستقراطي.. بهرها بوسامته، ورجولته، وعضلاته المفتولة، وسيارته الفارهة،

فأحبته، لكنها كانت لعبته، لعب بها تلك اللعبة التي يجيدها أي رجل، تركها وهو يعلم جيدا أنها تحبه، معلقة بحباله تتابع أخباره من خلال الفيس بوك بذلك الهاتف باهظ الثمن الذي أهداه إليها، حيث كانت تخفيه بعيدًا عن عيون المنزل، تموت ألف مرة من شدة غيرتها كلما رأته مع فتاة جديدة..

منذ ذلك الحين لم يملأ فضاء قلبها رجل قط، وضعتهم جميعًا على خط النار، رغم كل ما كان إلا أنه صدق من قال: "متى حلت عاصفة الحب اقتلعت أبواب القلب، ومهما أوصدت فإن رياح الحب تصرع".

مازالت تتخبط داخل أسرارها، تعيش على أمل الرجوع، لكن أمثاله لا يعودون أبدًا.

شرغوشة

أحب الصيد ليلاً، أعانق البحر بأبيات شعر ألقها على مسامع الأمواج الهادئة إلى حبيبتي التي هجرتني منذ سنوات..

لم أعد أعلم عنها شيئًا، ما زلت أتذكرها رغم مرور سنوات على قصتنا، كانت امرأة بارعة الحسن والدلال.

تعرفت عليها على شاطئ الأنفوشي، تأتي كل عام بإجازة الصيف، تظهر فجأة وتختفي فجأة، عرفتها منذ سنين لم أعد أعرف عددها، تهت وسط مشاعري، لم أعد أحسبها، فالانتظار أصبح عادة عندي.

أعيش على أمل الرجوع، أعشقها كعشقي للبحر..

أربعيني أنا.. رجولتي ساحرة كما تنعتني النساء بالحي الذي أعيش به..

أمتلك من الوسامة التي تجعل أي امرأة تذوب فيّ عشقًا، لكن تلك المرأة بالذات أنهكت قلبي، أريدها بكل ما لدي من رغبة، لا أعلم لها عنوان، كلما طلبت منها أي معلومات لا تقبل أن تخبرني بشيء، و هددتني بالرحيل.

عندما فقدتها، لُمت نفسي كثيرًا لأنني لم أحصل على رقم هاتفها، غارق في أفكاري أنظر للبحر وأردد كلمات تواسي قلبي،

متى يجمع الدهر ما فرق؟

كانت تأتيني كلما وطأت قدماها أرض الإسكندرية، أجدها فجأة أمامي وأفرح بها كطفل أحضر له والده لعبة جديدة، أطير بها على كابينتي الخاصة بنا فقط، كابينة على البحر، بشاطئ المنتزة، أنفرد بها لساعات، من كثرة إلحاحي لمعرفة اسمها،

قالت لي:

أطلق علي اسم من أسماء الأسماك في البحر وأطلقت عليها اسم شرغوشة، ثم أصبحت أناديها يا جنيتي.

حتى اسمها لم أكن أعلمه، كانت تقول لي نادني بأي اسم تحبه، فكانت مثل الجنيات في جمالها وظهورها واختفائها، لدرجة أنني كنت أظن نفسي أهذي أو تعرفت على عفريتةٍ وليست أنسية، لكن رؤية الناس لها

وتعاملهم معها هو الفاصل في شكوكي.

أحوالي كانت عجيبة.. أوقات كنت أخرج من بيتي أهيم في الشوارع وكأني أبحث عنها أو أنتظرها على الشواطئ لربما تمر ،

أذهب للكابينة أنتظرها أو ربما أسترجع ذكرياتنا معًا حين قابلتها منذ خمس سنوات.. كانت جالسة على الشاطئ بجانب المراكب وحيدة، أضع براد الشاي على راقية النار، أنظر لها، استحسنت جمالها الطبيعي، اقتربت منها، عرضت عليها كوب شاي دافئ، كنت أفتعل أي شئ لفتح حديث معها، قبلت عرضي، جاء الحديث مسترسلًا بيننا، يبدو أنها حزينة، كانت كلماتها قليلة، تبادلنا أطراف الحديث، ودعتني وعلى وجهها نظرة رضا، وبدأت

الحكاية.. بعدها بأسبوع بينما كنت أحضر طعام الغداء،

أصنع بعض الجمبري الذي أصطاده، نظرت لذلك الصوت لأجدها أمامي تسألني بلهجة مبهجة: هل أجد كوب شاي لي؟

جاوبتها وقلبي يدق بعنف: لا، وقبل أن تنطق أكملت كلامي: لكن يوجد جمبري.

ضحكت ضحكة انخلع لها صدري، أتذكرها حتى الآن، بعد أن تناولنا الطعام وشربنا الشاي كما أرادت، تحدثنا كثيرًا وبعدها.

حسنا سأغلق المذكرات الآن وأستكمل قراءتها لكم غدًا، فاليوم عرس أختي، وما زالت بالفراش، سأنهض أجهز نفسي لآخذها للكوافير وأذهب أنا أيضا للحلاق، وأحضر البدلة وفستان أمي من المغسلة.

يوم شاق.. لا أعلم لماذا يتصارع الشباب والفتيات على الزواج وكأنهم سيدخلون الجنة!

فلقد جربت حظي في الزواج وفشلت، ولا أحب أن أكرر تلك التجربة مرة أخرى،

أفضل أن أعيش حياتي كطير حر طليق لا يؤيده شيء، وأمثالي لا يحبهم الزواج.

اختنقت من كثرة الأسئلة إلى أين ستذهب؟

وإلى متى؟

وهل ستتركني وحدي؟

ولا أستنكر الحب أن يكلل بالزواج، لكن على الرجل أن يتحمل أنثى بكل ما أوتي من قوة.

الساعة السادسة مساء..

دخلت أمي غرفتي تدعو لي: العقبى لك يا بني،

لكن في قرارة نفسي لن أتزوج إلا من إنسانة أحبها.. إن قابلتها.

مرت الساعات، وانتهى حفل الزواج على خير.. وذهبت العروس لعش الزوجية..

أخيرًا عدت إلى غرفتي بشوق ولهفة لإتمام تلك المذكرات التي وجدتها بأحد كباين البحر بالمنتزه التي تقع تحت إشرافي للتأجير من قبل أصحابها، ولا أعلم لمن تلك المذكرات.

بدلت ثيابي واستلقيت على السرير بعد أن فتحت (ضوء الأباجورة) بجانبي، فتحت الصفحة التي وقفت عندها

بعد أكل الجمبري وشرب الشاي وجدتها تقترب مني، وشممت رائحة عطرها التي أتذكرها دوما فلم تكن تضع غيره لدرجة أنه عالق بأنفي حتى الآن، وضعت يدي على يدها، أمسكتها، لم تقاومني، لمدة خمس دقائق فقط وسحبت يدها، قامت مسرعة، أوقفت تاكسي، اختفت في غضون ثوانٍ، بدأت أعتاد الأمر،

تأتي فجأة وتختفي فجأة،

كنت أسألها لماذا تختفي دون أن تودعيني؟

قالت: لا أحب الوداع.

عددت اللقاءات بيننا..

كانت تخبرني: أنت أحن رجل عرفته طوال حياتي.

حينها لم أكن قد تعلقت بها بعد، فكان هذا لقاءنا الثاني.

بعد شهر.. وجدت أحد الصيادين يخبرني: هناك سيدة جميلة جدًا، سألت عنك دق قلبي وطار من الفرح وأين هي؟

قال: إنها ستأتي بعد ساعة، سألته متى كانت هنا؟

أتى صوت من الخلف أعرفه تمامًا، اهتز كياني كله لسماعه، أنا هنا، لم أكن أعلم أنني سأحبها كل هذا الحب، كانت نسمة باردة في حر صيف حارق..

أصبحت كقطعة ثلج ذابت،

عندما استدارت ونظرت إليها، كانت مختلفة هذه المرة تشع بياضا يضيئ الكون كله. أشعر بإحساس غريب.. مشاعر متأججة.

لا تهدأ مثل اعصار يجتاحني بلا رحمة ياخذني بدوامة عشق أبدية..

ربما نصبح أسطورة تحكي للناس.

وددت لو احتضنتها من شدة فرحي بها.

مشينا معا بمحاذاة الشاطئ، تحدثنا في أشياء كثيرة، أوشكت الشمس على الغروب، جلسنا على صخرة قريبة من المياه تصطدم بها موجة بحر لتنثر علينا بعض رذاذ المياة، كانت تفرح بذلك جدا، كانت طفلة صغيرة في جسد امرأة،

شعرت حينها أن الدنيا أهدتني شيئا جميلا، أبالغ حين أقول جوهرة نفيسة، لا أجد مثيلا لها بين النساء.

كانت تتحدث بطريقة راقية، وتدخل بعض الكلمات الأجنبية في كلامها، أدركت أنها من طبقة عالية المستوى، ولكن خوفي من فقدها لم يجعلني أتشدد في سؤالي لمعرفة من هي.

طلبت مني أن تغادر.

فقلت لها: غدا آخذك إلى مكان جميل ستحبينه.

وافقت على الفور، ودعتني وهي تقول: إذن نتقابل غدًا.

السابعة صباحا..

غلبني النعاس.. أجدها تنام بين أحضاني،

أغلقتها ووضعتها بجانبي لأكملها عند عودتي من العمل.

يوم طويل وشاق لااعلم لماذا كل هذا الزحام الآن، أنا متعب وأريد العودة إلى البيت بأقصى سرعة.

أرجو أن تكون أمي قد أعدت الغداء الذي طلبته منها.. جمبري، ولكن من دون الشرغوشة، أنا وأمي فقط، والليل الطويل والمذكرات.

أخيرا وصلت سريري، بعد أكلة الجمبري والسمك الفتاكة وها هي بين يدي، تلك المذكرات جعلتني أتعلق بها، كلي شغف أنهيها.

تشير التواريخ أنها من عشر سنوات، لا أعلم هل صاحبها مازال على قيد الحياة؟!

لا يوجد حتى الآن عنوان له.

حسنا وقفنا عند سنتقابل غدًا.. أتى يوم جديد مشرق تملؤه النسائم الصيفية الرقيقة محملة برائحة البحر..

فتحت الكابينة وكادت تطير من الفرح لرؤيتها،

منظر البحر أمامها مباشرة فكل ما كان يفصل بيننا وبين البحر مجرد سلم،

قفزت في الماء وأخذت تلعب بها مثل الأطفال، وأنا أتابعها من الداخل وأرتب المكان، وأعد بعض الطعام..

دخلت مبللة وجسدها يقطر ماء، أحضرت منشفة لففتها حول جسدها الساحر الذي ارهقني، لم يكن معها ملابس.

واضطررت إلى البحث داخل الكابينة عن شيء ترتديه، لكنني لم أجد إلا جلباب رجالي، لبسته وعلقت لها ثيابها لتجف، لكنني أعترف أنها كانت ساحرة بالجلباب،

تناولنا الطعام، ساعدتني في إعداده، بعدها جلسنا بالبلكونة نشاهد الغروب،

وأول مرة تضع رأسها على كتفي تحدثني متسائلة: كيف أفعل كل ذلك معك؟

لماذا أنت بالذات؟

لِم يجمعنا القدر بأناس لا يمكن أن يكونوا جزءًا من حياتنا، بل فترة من فتراتها؟!

لماذا نقابل الشخص الخطأ، ونتعثر بالشخص الصحيح؟!

أليست طريقة تجعلنا نندم على كل شيء بحياتنا!

نظرت لها، ووضعت يدي على شعرها، وأخذت أعبث بخصلات شعرها، وأنا أقول: المهم أننا تعثرنا بهم، أنتِ أجمل من رأيت، وأجمل من تعثرت بهم.

وكانت أول مرة ألمس شفتيها، قبلتها، ولم أعد أشعر بشيء، وهي أيضًا، وكأن الدنيا تدور في فلكها هي فقط.

أبعدتني عنها برفق وقالت: حان وقت المغادرة.

قلت: سأوصلكِ.

سكتت، وقامت أحضرت ملابسها، وخرجنا..

وما إن خرجنا من بوابة المنتزة،

كالعادة أوقفت تاكسي، وذابت وسط زحام السيارات.

ألوم نفسي دائمًا، وأسألها: لماذا لم تتبعها مرة من المرات؟

أو أسألها وألح عليها في السؤال لأعرف عنها أي شيء؟!

ذهبت إلى منزلي، وكلي حيرة وخوف، وأمنية بخاطري أن تأتي غداً.. وجاء الغد لكنها لم تأتِ.

مرت الأيام وانتهى فصل الشتاء وجاء الربيع، كنت أتذكرها بين الحين والآخر، أنتظر الصيف لتهل معه..

أتمناها بشدة أن تصبح لي وحدي، كانت كأميرة في مشيتها وطلتها وكلامها، وهي معي حين تضحك

وتمرح أشعر وكأنها فراشة برية تطير بين حقول الياسمين، أعدو خلفها كطفل صغير أحاول الإمساك بها، لكنها تذوب في الحقول وتتوه بين أوراق الشجر، لم أحصي الأيام، كنت دوما في حالة انتظار، وكعادة فصل الشتاء في نهايته يفاجئنا ببعض الأمطار والعواصف الرعدية، لنودع ونختم بها فصل الخير.

كنت أسميه بذلك.. بينما كنت منهمكًا بعملي على شاطىء البحر كعادتي.. سرحان في أمور الدنيا، وجدتها أمامي.

تعجبت!

سألتها: ما الذي جاء بكِ في هذا الوقت؟

ألم يأتِ الصيف بعد!

ردت: اشتقت لك.. تركت ما بيدي، تركت كل شيء وأخذتها إلى كابينة بالمنتزة، كان الجو باردا عليها، أشعلت المدفأة، وجلست بجوارها، ولأول مرة أسألها من أنتِ؟

قالت لن تحب أن تعرف من أنا.. ستبتعد عني.

نظرت لها باستغراب لماذا؟

قالت أنا زوجة رجل مهم بالبلد ولا أحب أن تعرف من هو.

قلت لها حسنًا.. إن كانت هذه رغبتك.. لكنني أود أن أعرف رقم هاتفك.

قالت: أعطني أنت رقم هاتفك، وأنا من سيتصل بك.

اقتربت منها وهمست بأذنها: وهل ستتصلين؟

لزمت الصمت، ونظرت لي..

لم أشعر بشيء حولي، وهي بين أحضاني.

افترقنا، ولكنني شعرت هذه المرة أني لن أراها مرة أخرى،

وبالفعل يأتي صيف وراء صيف، ولا تأتي، ظهورها في هذا الوقت بالذات كان كفيلًا أن يشرح لي كل شيء.

بعد فترة سمعت عن موت زوجة رجل مهم بالدولة كانت مريضة، وذهبت لإجراء عملية بالخارج وماتت هناك.

لا أعلم، كان الشبه كبيرًا، كانت الصورة غير واضحة بالصحف،

لكن إحساسي يقول لي إنها هي..

تقريبا نفس العمر، ونفس الشبه، ومن وقتها وقد بدأت أكتب..

أكتب عنها كلما تذكرتها،

تركت لها مئات الرسائل وأبيات االشعر.. يبقى الحنين بقلبي لا ينتهي أبدًا.

تختلف عن كل البشر، أتخيلها في كل وقت، أنتظرها في كل صيف، ولا تأتي، أذهب للمكان الذي جمعنا معا، أشعل المدفأة حتى لو في عز الحر، أجلس بجوارها، أتخيلها وهي معي،

شعرت أنني على حافة الجنون، نصحني البعض بأنه لكي أخرج من هذه الحالة أن أتزوج،

وبالفعل تزوجت من امرأة جميلة، ورزقني الله بطفلين هما كل حياتي.

تمر الأعوام.. أذهب ما بين الحين والحين، أكتب القليل من مذكراتي.

دق جرس الهاتف..

تركت المذكرات على المنضدة، ورددت على الهاتف كان مديري بالمكان يسألني: هل رأيت بالكابينة رقم 34 أجندة لونها بني؟

صدمت بالفعل، وتلعثمت، ولم أجد كلامًا أرد به،

لكني سألته: لماذا؟

قال لي: صاحبها يريدها، ويسأل عنها.

أجبته بشغف: هل هو معك الآن؟ قال: نعم، أتى ليأخذها.

ذهبت على الفور إلى هناك لأرى صاحب هذه المذكرات، وبالفعل قابلته، كان رجلًا وسيمًا يشبه عمر الشريف في وسامته..

دار حديث بيننا عن الشرغوشة جنية، كما أطلق عليها، ضحك وقال لي انت اول من يعرف سري هذا، وكنت سعيدًا جدًا بذلك وبمقابلت..

قلت له: كنت أتمنى أن أكون مكانك.

استلم مني المذكرات، وودعني وهو مبتسم وجلست أنا بجانب المدفأة أتأملها وأتذكر تلك القصة الجميلة وربما أحسده،

فلم أقابل يومًا حباً كهذا في حياتي.

<u>الشراغيش</u>:

هو نوع من الأسماك اشتهرت به محافظة الإسكندرية،

ويكون موسم انتشار الشراغيش في منتصف أكتوبر..

تتميز أسماك الشراغيش بأنها تُقاوم صيدها، ولا تتجاوب مع الطعم بسهولة، لذلك فهي تحتاج مهارةخاصة لصيدها، حيث أنها قادرة على خداع الصياد، ويمكن أن تبدو هادئة في أول الأمر، لكنها فجأة وبقوة تستطيع أن تقطع الطعم وتغير اتجاهها.

بارانويا

ظلام دامس، خطوات قادمة مسرعة، ركل الباب بقوة، شهقت، أحد ما يقترب منها، لا ترى شيئًا تسارعت نبضات قلبها.

هناك أنفاس أصواتها عالية، رائحتها عفنة، لا تحتملها، تغمض عينيها من شدة الخوف، فجأة تتعالى أصوات بالأسفل.. خرج مسرعًا مغلقاً خلفه الباب، تهدأ الفتاة قليلًا لكنه سيعود حتماً ليأخذني كما أخذ الفتيات

الباقيات، كنا ثلاثة، لا نعلم عن بعض أي شيء، أتى بنا إلى هنا، كمم أفواهنا جميعًا كي لا نتحدث، اكتفينا بتبادل النظرات التي تملؤها الخيبة والحسرة..

انقطع حبل أفكارها، نفس الخُطا السريعة، فتح الباب، وألقى بشيء

ثم خرج..

نحيب وبكاء مكتوم، لقد جاءت ضحية جديدة، ليتني أستطيع الكلام، أخفف حدة ما نحن فيه، قد نصل لحل معًا، مر الوقت ببطءٍ و هي تنتظر دورها، تشعر بخوف شديد، لا أعلم ماذا سيفعلون بنا؟!

تتبادل النظرات مع الفتاة الأخرى،

ثم عادت لتحدث نفسها أتمنى الموت، لا يوجد طعام ولا شراب،

ماذا سيفعلون بنا؟

مرت اللحظات ببطء، وهي رهينة، حبيسة لا تعلم مصيرها، تلعن اللحظات التي تمر بها هناك، المكان هاديء لا يوجد أحد، تمنت أن تفكُ وثاقها، نظرت من حولها، نور خافت ينير الغرفة بالكاد ترى ما حولها، نظرت الفتاة، ملقاة على الأرض مقيدة مكممة، لن تقدر على مساعدة نفسها، كانت من النوع الذي لا يستسلم بسهولة، زحفت على الأرض بجميع أركان الغرفة، تبحث عن شيء يساعدها لتفك وثاقها، لكنها لم تجد شيئا سوى موقد صغير،

كيف تشعله؟

تحتاج إلى أعواد ثقاب، ليت الحظ يحالفني، هي فرصتي،

يوجد أحد بالمكان، بحثت بجانب الموقد، علبة ثقاب قديمة مهترئة أمسكتها بصعوبة، لتجد بها بعض الأعواد، حاولت فتح العلبة، وألقت بها على الأرض، أمسكت بواحد، اقتربت من الموقد، حاولت أن تفتح الغاز، لم تستطع، فقد كان مغلقا بقوة، حاولت مرة أخرى، وأخرى،

بمعجزة استطاعت إشعال عود الثقاب، وحاولت إشعال الموقد..

بعد العديد من المحاولات الفاشلة نجحت، وضعت يدها على النار لتحرق الرباط حول معصمها، رغم الألم إلا أنها لم تستسلم.

قالت: ربي ساعدني.. كن بجانبي، نظرت إلى الفتاة، وأومأت إليها أن تقترب لتساعدها، وتساعدها هي الأخرى،

اقتربت وحاولت هي أيضاً قطع وثاق يدها، وبعد كل المحاولات التي صاحبها ألم قطعت الحبال، نجح الأمر أخيرا، وتمكنت من تحرير أيديهما، تم إزالة الكمامات وبدأتا تتحدثان بهمس، أسئلة كثيرة..

كيف سنخرج من هنا والباب مغلق؟ لابد أنهم سيأتون قريباً، النوافذ مغلقة، ونحن بالطابق العلوي، لا توجد أي مساعدة تتيح لهما الهروب، بحثت بالغرفة عن أي منفذ، بحثت بكل مكان، وراء الأغطية الملقاة على الأرض، بخزانة صغيرة بها أدوات..

ألقت نظرة عبر ثقب الباب، لم يبقَ الكثير من الوقت، ستشرق الشمس قريبا وسيأتون، مؤكد أنهم سيأخذون واحدة منا، تحسست الحائط بأصابعها متسائلة بدهشة: ألا يوجد زر الإنارة؟

يوجد زر على الحائط الذي كانت تتحسسه، ضغطت عليه بسرعة، لتفتح نافذة بالحائط، يبدوا أنها تستعمل لنقل الملابس لمغسلة،

يا الله رحمتك، هيا بنا، تقفز الفتاتان بداخلها لتنزل بهما مسرعة وتلقيهما بغرفة أكبر وأوسع،

ما هذه الرائحة العفنة؟

رائحة دماء!

تنظر الفتاتان بذهول، كاد أن يغشي عليهما من هول الصدمة، إنها مشرحة، الجثث ملقاة بكل مكان، أجساد مقطعة، وجدت الفتاة التي كانت بالبارحة معها، لم يبق منها إلا رأسها وباقي جسدها، جلد مترهل بلا أعضاء، تقيأت من هول المنظر، أخذت الفتاة الأخرى وذهبت للبحث عن مخرج، من هنا من الباب الخلفي، خرجتا تعدوان بسرعة عبر الطرق الوعرة غير الممهدة لمدة ساعتين، حتى وصل الأمر بهما إلى أحد الطرق الممهدة، لا تعرف أين هي،

نظرت يمينا و يسارا ربما تمر سيارة ما، لكن دون جدوى، إنهما في صحراء قاحلة،

يارب ساعدنا..

أوشك النهار على الإنتهاء، فجأة مرت سيارة محملة بصناديق، أشارت لها الفتاة بسرعة، توقف السائق متعجبا: ما الذي أتى بكما إلى هنا؟ إننا مخطوفتان، أرجوك ساعدنا.

ركبا السيارة بجانب السائق..

أين نحن؟

إننا بالطريق المؤدي إلى السويس..

من أين أنتما؟

إننا من القاهرة.

من خطفكم؟

لا نعرفا.. واضح أنهم تجار أعضاء. صمت السائق، وأمسك التلفون ليهاتف أحدهم..

كانت الفتاتان معلقتان أعينهما على الطريق،

تتمنين الوصول إلى منازلهما بفارغ الصبر، بعد قليل،

انحنى السائق بالسيارة لطريق ترابي، شعرت الفتاة بالقلق وحاولت فتح الباب، ولكن السائق أوصد الأبواب جميعًا.. لا مفر، لقد عاد بهما لنفس المكان، صرخت الفتاتان بشدة، تتوسلان.. نرجوك، سنعطيك كل ما تطلب، ولكن عُد بنا إلى القاهرة.

بكاء وعويل.. أتى رجل ضخم وسحب الفتاتين إلى الداخل،

وهما يصرخان وأخرج حقنة،

يصارعان الرجل بكل قوة، ليلقي بهما على منضدة، ثم أتى شخص مرتدياً معطفا، ونظر إليهما بابتسامة باردة، وبدأ بوضع الحقن بأيديهما لتنهار قواهما.

على مرفأ الصدفة

كوخ خشبي يطل على ربوع خضراء، بجانبه جدول ماء، صوت خريره يبعث فيك الحياة يجعلك تحلق في دنيا أخرى، دنيا حالمة.

ها قد جاء الشتاء محملاً بنسماته الباردة، تقطف بعض الوردات لتضعها على مائدة الإفطار، يعم المكان برد قاس، بعض قطرات المطر تنقر على النافذة، تشعل المدفأة، تضع الشاي في كؤوس زجاجية ينبعث منها رائحة القرنفل الذي تعشقه،

تحضر حقيبة يدها للذهاب إلى المتجر لجلب بعض الأغراض،

تمتلك مركبا صغيرا، تستقله للذهاب إلى البلدة للتسوق،

البلدة التي تبتعدعنها قليلا، تدير محرك المركب، يوجد به عطل، تتصل بأحد المختصين، تشرح له

إنها بمأزق،

واقفة على المرفأ، تود الذهاب إلى البلدة قبل الغروب وعليه أن يحضر فورًا..

يأتي رجال وسيماً، تعتلي شعره بعض خصلات الشيب، طريقة كلامه أرستقراطية، وملابسه أنيقة، مما لفت انتباهها، يصلح لها المركب في غضون دقائق، يدير لها المحرك ويودعها مغادرًا..

تنهي شراء الأشياء، وتعود مسرعة.

تفكر بوالدها، تتمنى أن يكون قد استيقظ وتناول فطوره، فهي تحبه وتقلق بشأنه كثيرا،

يعيش معها بعد وفاة والدتها بحادث سيارة، ماتت الأم بينما يعيش الأب بقدم مكسورة، يحاول أن يعتمد على نفسه، لكنها لا تحب أن يقوم بأي شيء..

تدخل البيت وتحدث أباها عن العطل الذي أصاب المركب صباحًا.

قال لها: لابد أن نبدل المركب القديم بآخر حديث.. اتركي لي الأمر يا ابنتي.. سأتحدث مع أحد تجار المراكب لنشتري واحدا جديداً.

ترد: حسناً والدي.. كما تشاء.. سأذهب للصيد قليلاً.

قبل أن يحل المساء، تعود بينما هي تفتح باب المنزل تسمع أصواتًا وحديثًا بالداخل، دخل لتجد شخصًا ما جالسًا مع والدها، انتابها القلق، لكن سرعان ما أدركت ما يحدث.

إنه نفس الشخص الذي أصلح لها المركب صباحًا.

تلقي التحية، تدخل لتعد طعام الغداء.. يطلب منها الوالد أن تحضر فنجان قهوة للضيف، وحين أحضرته طلب منها الجلوس لمناقشة شراء مركب جديد،

اتفق معها أنه سيمر بالصباح لتختار واحدًا، لم تكن تدرك أن من أصلح لها العطل صباحا هو نفس صاحب العمل.

في الصباح..

ارتدت فستانا وردي اللون، وضعت قليلاً من المكياج جعلها تبدو ساحرة، وجهها طفولي بعض الشيء به من البراءة ما يجعل أي رجل يحلق في حبها، تقابله على المرفأ، يمسك

يدها لتدخل اليخت الخاص به

والذي انبهرت من جماله،

أخذها في جولة لمشاهدة المراكب، اختارت واحدًا ثم أعادها مرة أخرى لنفس المكان.

لكنه لم يودعها بل خلق حجة لرؤيتها.. سآتي غدا لأجرب المركب الجديد بنفسي، شكرته قائلة: حسنا إلى اللقاء.

يأتي في صباح اليوم التالي بسيارة فارهة لا تعلم ما الذي يحدث ومن هذا الذي تركب معه سيارته، كيف تطور الأمر

يفتح لها الباب، تدخل وهي تشعر كأنها أميرة وهو يعاملها بطريقة أحبتها، بل وجعلتها مرتبكة بعض الشيء..

أطال الحديث معها عن المراكب، عرض عليها التنزه معه ليريها بعضًا من حياته الخاصة، التي لا يدخلها أحد الا من يثق بهم،

شعرت ببعض الخجل اكتسب وجهها حمرة جميلة زادتها أنوثة بالغة.. وافقت على عرضه، وركبا معا يخته الخاص ليصل بها إلى مكان غريب وسط المياه على تل صغير..

مبنى زجاجي على هيئة منزل داخله أشجار ونباتات نادرة.. به مغطس مزود بسخان شمسي ليبقى الماء دافئًا أربعا وعشرين ساعة،

أسرة معلقة على الهواء، مزود بأحدث الأجهزة، ينقصه شيء.

أحضر لها شرابًا دافئًا..

كانت سعيدة أنه د يعتبرها من الناس الذين يثق بهم رغم أنه لم يعرفها إلا منذ يومين.

تكررت اللقاءات بينهما.. تعودت على وجوده بحياتها، تمر الأيام بشكل جيد،

لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، يغيب بشكل مفاجئ.. لا يهاتفها كل صباح كما تعودت منه، لا تعلم عنه شيئا، قلقت لربما يكون مريضًا،

اتصلت بالشركة لتسأل عنه!

يخبرها المجيب أنه بعمل خارج البلدة ولا يعلم متى يعود.

شعرت لأول مرة بأنها فتاة صغيرة أفلتت يدها من يد أمها..

تاهت وسط مشاعرها.. أيقنت أنها تحبه، وتتألم لغيابه.

تذهب للصيد، تلهي نفسها أو ربما تراه صدفة، تختلق الحجج لتمر بجانب بيته،

لكنها لا تراه، تود أن تسأل عنه مرة أخرى لكن كبرياءها يمنعها،

ظنت أنه لا يريدها أو ربما مل منها،

إحساسها معه مختلف، ينبض قلبها لكنها تعيش بلا روح.

ماتت لهفتنا وحبها للحياة،

شعرت بطعنة داخل قلبها، تنزف له حباً وحنينًا، تمر الأيام متشابهة، تعود لروتين حياتها ما بين صيد ومتابعة والدها وأعمالها البسيطة التي تقوم بها، لكن في قرارة نفسها لعبت الصدفة التي جمعتهما معاً، كانت تضعه في مكانة عالية.

سمعت من البعض أنه أخذ توكيلًا كبيرًا لشركته، وأنه سيقوم ببعض التوسعات لعمله، لكنها قررت ألا تهتم به وبأخباره، تبعد كل تفكيرها عنه.

ذات صباح كانت بجانب المرفأ تمارس هوايتها،

تراه يمر بمركبة، تشتعل نبضات قلبها لهفة عليه،

أيقنت أنها غارقة في حبه،

ولا مفر، وقعت في حباله..

امتلأت روحها منه حتى أنه لم يعد لروحها مكان إلا معه، جلست أكثر من المعتاد هذه المرة،

لا تعلم كم مر عليها من الوقت، تعبث بين أفكارها، تمسك بواحدة وتقذفها عاليًا إلى السماء، لكنها تتهاوى، لا تمسك بها، تتركها لتتحطم أشلاء من شدة فشلها، وأخرى تبقيها جانبا حتى تفكر فيها مليا، هكذا مر عليها الكثير والكثير

لم تمسك واحدة قط، كالخراف في القطيع مشتتين، وهي راعي لا يجيد الرعي.

أغلقت صندوق أفكارها، خوفاً من هرب إحداها، همت للذهاب تمسك بماكينة الصيد لتهم واقفة،

تسمع صوت أقدام قادمة، تدهس أوراق الشجر برفق، لكن قلبها لم يكن يُدهس بنفس الرفق،

كاد أن يتحطم من شدة دقاته، كانت تعلم من صاحب الخطوات، تيبست مكانها ورقبتها تأبي الالتفات لترى من هو القادم، سمعت صوتا تعشقه يقول بنبرة صوته الرجولي الجميل الذي طالما انحنت له، وعندما تسمعه يرق قلبها،

كيف حالك؟

كانت صامتة لكن بداخلها ألف حديث وحديث،

كانت تود أن تقفز من الفرح وتعانقه كطفلة صغيرة تعانق أباها القادم بعد غياب يوم طويل ومعه قالب الشوكولاتة الذي تحبه،

تود أن تقول لها: سل حالك وأنت تعلم كيف هو حالي..

لكنها اكتفت بابتسامة ساحرة، ونظرة يملؤها الحب، ولمعة عينين لا يعرف معناها إلا حبيب غارق في حبه،

أنا بخير.. هكذا ردت عليه،

كانت السعادة تقفز من حولها.

قال لها :علمت أنكِ سألتِ عني.

ردت: أجل.. ظننت أنك مريضًا أو شيئا ما على هذا النحو.

اعذريني كنت منشغل، وأتمنى أن تفهمين طبيعة عملي، وطبيعته الخاصة التي لابد أن تعتادي عليها.

قالت: وما شأني بك وبعملك؟

ولماذا أعتاد عليها؟

أخرج من جيب معطفه علبة صغيرة، فتحها لترى خاتما ماسيا رائعا لم تشاهد مثله من قبل.

أمسك يدها ووضعه بإصبعها ناظرا لعينيها متسائلاً ،هل تقبلين الزواج بي.

الحب والخبز

تجر عربة الخضروات في ذلك الزقاق الضيق..

يسقط أول شعاع ضوء على أهداب عينيها البنية، تسمع مواء قطةٍ

صغيرةٍ ولدت للتو، تنادي ابنتها من بئر السلم، اطعمي الدجاجات، كوني يقظة.

يكسو الشارع هدوء الفجر

المعتاد إلا من بعض أصوات أقدام المارة الممزوج بصوت ذفيف نعلها المتهالك.

رائحة الخبز الطازج تنعش ذاكرتها، تتصارع هي وأختها التوأم، يتشاجران على أول الأرغفة الطازجة التي تخرجها أمها من الفرن،

تتعالى الضحكات لينتهي الحال بشطره نصفين.

تتسائل بحزن أين هي الآن؟

تزوجت وسافرت للخارج.

ترى الكثير من الناس ينتظرون الحافلة على أرصفة الملل، للذهاب للعمل..

تصل لمكانها المعتاد، تقف بالعربة على ناصية الأمل، تمر الموظفة خفيفة الظل، تلقي عليها تحية الصباح بابتسامتها الرائعة لتلقي نظرة داخل العربة، تحجز الخضار الذي تحتاجه، ستأخذه بطريق العودة، تذهب لعملها تضع إمضاء، وبعد فترة قصيرة تغادر.

رغم حزن الصباح تتسابق الفتيات على بائعة الورد، كل منهن تختار لونها المفضل، تعتلي الوردات قطرات الندى الممزوجة بعبيرها الفواح..

تعود بالذاكرة للخلف، لم تعانق أناملي ورده منذ الخامسة عشر، عندما أهداني أحدهما واحدة للتعبير عن إعجابه بي..

لقد أحببته لأنه كان مختلفًا، لا أعلم الآن عنه شيئا.

شمس الظهيرة تشتد، ألملم الباقي من الخضر لأعود لأبنائي.

تمر على البقال يعطيها نقود العشاء من الحساب المؤجل، اعتدنا على ذلك،

نصف الطعام مؤجل الدفع، لم أعد أحتمل الفقر، تمنيت أن ترزق ابنتي برجل ثري يريحها من شقاء

المعيشة، اليوم خطبة ابن جارتي أم حارث، لا أملك نقود مجاملتها، أهديها من طيوري التي أربها بالمنزل،

أرتدي العباءة التي أهدتها لي أختي العام السابق، لا أملك رداء قيما مثلها.

تتعالى الأصوات والزغاريد،

تهرول ابنتي لتشاهد العرس من الشباك، أبتسم وأدعو لها كثيرًا، أتذكر يوم زفاف.

أنساه ولا أحب أن أتذكر تلك القسوة التي كان يعاملني بها، وقد جعلتني أخشاه من أول يوم، لم أكن أحبه ولا أكرهه.

قالت لي جدتي ذات مساء، الحب لا يجلب الخبز ابنتي، إنه المال.

فهمت أنني لا بد أن أعيش وأرضخ، وما حيلة النساء الضعيفات الفقيرات إلا الخنوع والتسليم، لا يملكن حق الاعتراض ولا يحق لهن أن يتذوقن طعم الحب،

فرغيف العيش أفضل، بل وأهم.

توفي من كثرة التدخين، لطالما حذرته من ذلك، لكنه كان عنيدا، لا يكترث لأحاديث الأغبياء مثلي،

كما كان ينعتني الآن بعد أن توفي، بدأت أشعر بالهدوء النفسي، الذي سلبه مني.

تمر الأيام وتتشابه وتتكرر، وما يفرقها عن غيرها،

طعم الفرحة عندما حصلت ابنتي على شهادة الدبلوم،

أحمد الله أنها لم تكن أمية مثلي، فوالدي كان فقيرًا ولا يحب أن تتعلم الفتاة،

كان يقول: المرأة خلقت لبيتها وزوجها، تمنيت أن أحضن الكتب بذراعي وأنا ذاهبة للمدرسة، وأنتعل ذلك الحذاء الجلدي الذي كنت أراه بأقدام الفتيات،

أتابعهن من خلف شباك الغرفة بلهفة وحسرة.

زوجني والدي وأنا بالخامسة عشر من عمري ليرتاح من عبء مصاريفي، ليس لنا يد بشيء،

فأقدارنا مقسومة من الله عز وجل،

اقتمست أنا ووالدي العشاء على طاولة الاحتياج، منهكين صامتين،

يكسو وجهنا اللامبالاة، وبداخلنا تتصارع الأمنيات على أرصفة الانتظار، لا نملك إلا الصبر زاد.

أضع رأسي المنهكة على مخدعي، أتجاهل الآلام التي تنخر عظامي،

أنام رغم كل شيء.

في الصباح..

أعود لعربتي وعملي، أسمع نفس المواء، لكن لقطتين هذه المرة، أرى هذا الصباح مختلفًا،

نسمات باردة، تمر على وجهي تطبع قبلة هامسة لي، ارفقي بحالك، اشتهيت الطعام من عربة الفول لعم حسين عدلت عن الفكرة.

فاليوم سأجلب أكياسًا جديدة بها الخضر.

ما حيلة الإنسان إلا المكابدة والمعاناة ليصل لهدفه، أجمع النقود لجهاز ابنتي، الغلاء طحننا، الجميع يتحكم بك،

البقال يستنزفني،

والسياسي يتحايل علينا بوعوده الواهية،

والتاجر يضع الأسعار التي تجعله ثري،

الجميع يتحكم بي، يتاجر بعقلي، لم أعد أحتمل، تهلهت روحي..

اللهم هدأة روح،

اشتريت بعض الفاكهة للبيت.

اليوم راجت تجارتي، وضعت العربة، صعدت السلم.

ألقيت بنفسي على الكرسي بجانب الباب، أنفاسي متقطعة، وضعت لي ابنتي طعام الغداء الآن سأخلد

للنوم قليلاً، اليوم سأذهب لشراء فستان جديد لابنتي،

أود أن اجد ما يناسب الميزانية وتجد ما يروق لها ولا تعود حزينة،

صلينا المغرب وذهبنا لوسط المدينة، حيث المتاجر الفاخرة التي لا أراها إلا بالتلفاز، جحظت عيوننا من كثرة الإبهار، إضاءة ونظافة،

أشعر أنني إنسانة تعيش على حافة الدنيا، الموت والحياة..

اختارت ابنتي شيئا معقولا يناسب ما معي من نقود،

كنت أود أن أبتاع لها كل ما تتمنى، لكن كما يقول المثل: "العين بصيرة واليد قصيرة".

عدنا أدراجنا للمنزل، رغم بساطة الملابس إلا أنني شعرت بفرحة تغمر ابنتي.

نحن البسطاء، تسعدنا أقل الأشياء.

صباحًا رأيت السعادة في عينيها وهي تقف أمامي ترتدي الملابس الجديدة للذهاب إلى مقابلة للعمل، تمنيت لها التوفيق، لن أعيش كثيرًا، المرض يشتد علي، أتمنى أن يرزقها الله بزوج صالح، ليطمئن عليها قلبي، لكنني أفضل أن تحبه وتستريح له.

لن أبيع ابنتي مقابل حفنة نقود أو أستريح من إطعامها.

تم قبول ابنتي بالوظيفة، أشفقت

عليها من الزمن والناس والأعباء التي تنتظرها، علها تتحمل.

الرضا أساس السعادة، رغم فقري وجهلي.

إلا أنني أعيش برضا تام، سعيدة بما قسمه الله لي،

على يقين أننا جميعًا بالنهاية سواسية، لن يدخل الجنة الغني المتعلم، ولا الفقير المعدم، لكن بعملك وطاعتك وحسن عبادتك.

أحيانا ننتظر أن يعوضنا الله عن أي محنة أو ابتلاء مررنا به، أتمنى أن يعوضني الله في ابنتي، أتمنى أن أرى أحفادي يمرحون حولي، والسعادة والضحكات تملأ الأرجاء.

مزامير الجن

سمعت كثيرًا عن الأطباق الطائرة، شاهدت أفلاما عن الكائنات الفضائية أيضا، لكنني كنت أعتبرها خرافات، ومجرد خيال لا يمت للواقع بصلة.. منذ صغري وأنا لا أؤمن بتلك الأشياء كآلة الزمن، والعفاريت، وغيرها،

لكن مرت علي أشياء أن أكدت لي هناك ما يؤكد صحة ذلك، أيضا في الدين..

كلما واجهتني صعوبة في تصديق أمر ما أظل أبحث عنه وأقرأ ما يخصه حتى أقتنع أن رأيي خطأ

أو صواب، وهذا ما أكده لي العلم والدين معا.

بالبداية أحب أن أوضح أن ما سأسرده على حضراتكم وقائع وليست من وحي خيالي،

نبدأ اول بموضوع..

الأطباق الطائرة..

هل كانت تظهر بالغرب فقط؟

أم بالشرق أيضا؟

في ولاية أوريغون، في شهر مايو من عام 1950، هناك رجل مزارع يدعى السيد ترنت.. شاهد طبقًا طائرًا في

مزرعته في ميكامي نفيل، وفقا للسيد ترنت وزوجته إيفلين التي رصدت هذا الطبق الطائر،

والذي شاهدته هي أيضًا على شكل قرص فضي معدني،

حيث كانت خارجة لتغذية الأرانب، عندما ظهر في السماء في وقت مبكر من المساء، ونادت على زوجها، الذي جاء وشاهد لبضع دقائق،

ثم ذهب وأحضر كاميرا وأخذ صورتين للطبق الطائر،

قبل أن يسرع الكائن إلى الغرب،

والأكثر لفتاً للنظر هو مصداقية الأمر، وسلوك الرجل وزوجته،

حيث أنهما لم يطلبا أي أموال مقابل الصور، وسمحا في الواقع للمراسلين بنشر الصور،

وعلى ما يبدو أنهما كانا خائفين من الوقوع في مشاكل مع الحكومة، إلا أن هناك خلافات بالنسبة لصحة الصور..

ولخص تقرير كوندون، ودراسة ظواهر الأطباق الطائرة في 1967 التي أجرتها جامعة كولورادو أن كثافة التصوير النسبية للأجسام في الصور تشير إلى أن هذا الموضوع كان بعيد المنال هذا يعني أنها من المرجح أن تكون حقيقية إلى حد ما، وأصر السيد بول ترينت وزوجته إيفلين جيد على أن الصور حقيقية.

وأخرى وأخرى، تحدث عنها الكثيرين بل كان موضوع يعد مرتعا للكثيرين.

هنا في مصر..

هل حدث هذا؟

أجل.. ظهرت الأطباق بمدينة دمنهور وفوق سفح الهرم و بالغردقة،

ولكن بعض العلماء يؤكدون أنها مجرد طائرات تجسس،

والبعض الاخر يقول إنها من صنع الجن،

ونأتي للجزء الخاص بالدين، حيث يفسر البعض أن ذا القرنين قام برحلة فضائية،

وأن يأجوج ومأجوج ليسوا من الكرة الأرضية.

نتطرق لثاني موضوع وهو الجن والعفاريت..

وهو مذكور طبعا بالقرآن،

وسمعنا عن سيدنا سليمان، وأنه كان يسخر الجن له،

لا مفر من جدية الموضوع،

ولكن.. هل هم يعيشون معنا؟

سأطرح بعض الأسئلة عليك،

هل سمعت شيء يقع على أرض البيت فجأة وأنت جالس وحيدًا بمنزلك؟

أو شعرت بأقدام تمشي وأشياء تختفي من بيتك،

وتعود مرة أخرى؟

هل رايت أحدا ممسوسًا؟

هل شعرت بأيادي خفية تلمسك؟

أنا شعرت بكل ذلك، كنت جالسة بالبيت وحدي وإذا بي أسمع صوت ملعقة ألقيت على أرضية المطبخ، صوتها يرن بأذني،

ذهبت ولم أجد شيئا،

وأحيانا أخرى أشعر بأنفاس فوق رأسي تشعرني بالبرد،

وأيادي تلمسني لمسا خفيفا أكاد أشعر به،

وأصوات وأنا نائمة،

عندما أستيقظ لا أجد أحدا، ولا أحد سمعها مثلي، ويجعل من أيقظته يسخر مني،

إنها تعبتني،

ماذا أفعل؟

هناك قصص عديدة لا حصر لها،

ولكنني أذكر قصة كانت لملك عشق جنية، أصبح يهزي والجميع لا يصدق ..

ذو هيلمان ذات مساء..

كان يسير ليلاً بأحد طرق قصره المهجورة،

يتفقد أحوال الناس من بعيد،

يسمع همهمات الناس: قال الملك.. فعل الملك.. هو ظالم.. هو عادل. أمسك حجرًا كبيرا ورمي به بعيدًا، وإذ فجأة تظهر أمامه جنية طويلة الأقدام لها جناحان، تطير فوق الأرض بسرعة، تنظر له،

في الأول اعتقد أنها إنسانة، لكن بعد أن شاهد ذلك الذيل الطويل الذي تجره من تحت فستانها الذي يخفي جزءا كبيرا منه.

تحدثه بلهجة غير معروفة،

بصوت مكتوم قال لها: من أين أنتِ؟ قالت: من عالم الجان.

سألها الملك: بماذا أساعدك؟

ردت: لا أريد شيئا منك، لكنك قذفتني بحجر في وجهي..

هل فعلت ما يجعلك تفعل هذا؟

قال: لم تكوني أنتِ المقصودة.

نظرت له متسائلة: إذن من المقصود؟

رد عليها بينما يطأطئ رأسه: حسنا.. بعض رعيتي لا يعجبهم حكمي.

قالت: لكنك أفضل الحكام هنا.

سألها: وماذا تعرفين أنتِ عني؟

أنا أعرفك جيدًا أنا وكل مملكتي، فنحن نتحول لبشر مثلكم تماماً

لا تشعرون بنا.

أطال لها النظر وقال: إذن تتحولين لي الآن كإنسان.

بالفعل تحولت بسرعة إنسانة جميلة لا مثيل لجمالها وسحرها لدرجة الانبهار،

بينما هو مشغول بها شعر بوجود شيء خلفه له أنفاس قوية،

ستدار ليرى له وجهًا أسودًا تظهر منه عينان، واحدة سوداء والأخرى حمراء.

تنظر له شزرًا، يلقي بلهب عليه يكفي لحرقه بالكامل،

وبأسرع من البرق وجد نفسه يطير بالسماء إلى غرفة بقصره العالي.

تتركه الجنية وتقول له: أغلق نوافذك وبابك جيدًا لن يؤذيك.

سألها إلى أين؟

ردت عليه: سأعود قريبا.

أغلق بابه ونافذته،

لكن للأسف فر النوم من عينيه،

ظل يفكر طوال الليل،

وفي الصباح الباكر، جمع كل العلماء والشيوخ ليعرف حقيقة ما حدث،

لكن لا أحد يعلم عن تلك الأمور شيئا، تعب الملك من كثرة التفكير،

صعد ليستريح.

فتح باب الغرفة، ليجدها أمامه.. امرأة باهرة الجمال، تعجب لها قائلاً إذن أنتِ عند كلمتك..

أخبريني كل شيء عنكم..

أين أنتم؟

وأين تعيشون؟

ومن ذلك الجني الذي أراد حرقي؟

نحن معشر الجان نعيش فوقكم،

لنا بيوتا تمامًا كبيوتكم،

نأكل مما تأكلون ونشرب مما تشربون.

قال الملك؛ ومن ذلك الناري؟ قالت: هو ابن عمي، ويحبني..

يغار علي من أي إنسان أو جان.. يراقبني دوما، ويحرق كل من يقترب مني.

قال: إذن هو يرانا الآن؟

ردت عليه: إنه بمهمة بعيدة جدا.. لن يأتي منها إلا صباحاً.

رد الملك بسخرية: وما الذي أتى بكِ الآن؟

بينما هو ينظر لها ويبتسم،

وجدها تغير شكلها.

امرأة ساحرة، اقتربت منه بخفة ودلال لتنام بجواره.

في الصباح الباكر يستيقظ الملك ليجدها ذهبت وبجانبه قطعة ذهبية ثقيلة،

أمسكها وتعجب لها،

أحضر كبار الصائغين ليري ما قيمتها!

انبهروا جدًا، وقال أحدهم: لم أرَ مثل هذه القطعة من قبل بنقاء الذهب وجودته.

من أين حصلت عليها سيادة الملك؟

صمت ونظر بعيدًا..

ثم تركه وذهب لنفس المكان الذي تقابل فيه مع الجنية،

ينظر حوله، يتلفت يمنة ويسارًا،

كل من مر بجانبه يتعجب أحواله، مرت ساعات وهو منتظر،

وبالنهاية رجع القصر،

يرقد بسريره لا يجد للنوم سبيلاً.

حزين لا يعلم كيف يجدها، أو يحضرها،

أحضر أكبر الشيوخ العارفين بالجان،

وطلب منه أن يحضرها أو أن يتصل بها..

بعد ساعات من المحاولات توصل لشيء مهم،

أنها لا تظهر للناس إلا كل شهر مرة، هذه هي أحوالهم،

بات يعد الليالي ويحسب الأيام حتى انتهي الشهر الثقيل.

يفتح عينيه على نهار مبهر..

رائحة عطرة في الغرفة،

لا يعلم أنه كان يحلم أم أنه يشعر بيد تحيطه من الخلف،

لحظة فقد السيطرة على قلبه،

قفز من مكانه لأعلى الغرفة وهبط، تحدث ولم يستدر ليرى من يحتضنه،

كان على يقين أنها هي..

اشتقت لكِ.

ردت عليه: ليس مثلي،

استدار ليرى عينيها اللتين أحبهما من شدة روعتهما.

ظل بغرفته حتى حل المساء.

حزين لأني لن أراكِ إلا كل شهر.

قالت له: وضع مؤقت.

قال: ومتى سينتهي؟

عندما أتزوج سيصبح الأمر عاديا، وأظهر كل يوم..

إنه يريد أن يتزوجني لأجل الذهب الذي يخرج مني.

سألها: ما قصة هذا الذهب؟

أجابت: عندما أكون سعيدة أهب قطعة من الذهب لمن أسعدني.. هي قدرة بداخلي.. تميزني عن الآخرين.

قال: إذن هو راغبٌ في ذهبك.

ردت: ربما.. لا أعلم،

قال: لماذا تتزوجيه إذن؟

قالت: لم أعرف طوال حياتي غيره، يحاصرني.

قاب: وماذا يفعل هو؟

ردت: هو ووالدي يملكان مزامير الجان.

سألها مندهشا: وما هي مزامير الجان؟

ردت: إنها مزامير ذات قدرة سحرية.. تجمع الجان ببضع دقائق.. يسمعها الجميع.. وكل فرد منا وإن كنا بنهاية العالم تسعد الحزين.. وأيضا هي أداة تعذيب لمن لا يطيع ملك الجان.. فإنه ساعتها يسمع أقوى الألحان التي تعذبه حتى يهلك.

قال: إن والدك يحمل سلاحا مدمرا فعالا.. إنه سلاح ذو حدين.. حسنا لم أعرف اسمك بعد!

ما هو؟

أنا شهرماز.

لكن لماذا أتيتِ مرة أخرى؟

إنني أعشقك.

يخبرها: أخاف عليكِ من زوجك وأبيك.

ترد: لا تخف.. أنا لدي ما يجعلني مخفية عن عيونهم لبضع ساعات.

رد: إذن كوني حذرة، لا أود أن أفقدك.

اختفت فجأة من جانبه

تاركة نفس القطعة الذهبية،

فرح بها لكنه لم يكن طامعًا لديه ما يكفيه من مال وجاه.

أصبح الملك أكثر حدة مع حراسه ومن حوله، فكان غيابها أمر شاق بالنسبة له،

الانتظار طقس مرهق خاصة إن كان لمدة ثلاثين يوما.

تمر الأيام وهو على أحر من الجمر بل مرت أيام وشهور وهي لا تعود،

بدأ اليأس يدب في نفسه.

ينتظرها ولا تأتي،

أصبح النسيان يطرق بابه كثيراً،

يتذكرها بين الفينة والأخرى،

يجول بين ذكرياته..

يتفقدها من وقت لآخر، كمتحف.. صورة يراها من بعيد ولا يقترب أيقن أنها تزوجت ولن تاتي مرة أخرى.

بينما تشرق شمس يوم جديد،

يطرق باب نافذته عصفور بمنقاره ثلاث نقرات، لم يتخيل للحظة أنه سيراها مرة أخرى،

قفز من مكانه، فتح النافذة ليدخل العصفور كالبرق، لم يلحق أن يراه، ليلتفت وإذا بها تقف أمامه بكل رونقها،

نظر لها معاتبا: أين أنتِ؟

لمَ كل هذا الغياب؟

قائلة: هل تعلم ما حدث لي؟

رد مستنكرا: هل تزوجتي؟

أجابت: أجل.. واليوم فقط تحولت لشكل عصفور.

ولِم لم تتحولي وتأتي من قبل؟

ردت: إنها ليست موهبتي، وأنت تعلم من حولتني، هي امرأة عجوز لديها قدرات سحرية، التحول لمدة يوم واحد فقط.

قال: إذن لا أحد يعلم انك هنا؟

قالت: بكل تأكيد سيادة الملك.

سألها: وماذا إذا شعر زوجكِ بغيابك؟

ردت: لا أعلم، لكنني وضعت له بعض الأعشاب المنومة لينام كثيرا.

قال: أخاف عليك أن يؤذيكِ.

أجابت: بالفعل سيفعل، لكنني لم أعد أطيقه، إنه سيئ الطباع، لا أود أن أعيش معه بقية أيامي،

وأفكر أن أهرب منه، وأختبأ ولا يجدني مرة أخرى.

ومزامير الجان لا تخافي ان تطلبك ولا تلبي؟

سأصم أذني حتى لا أسمعها.

أنتِ تؤذين نفسك كثيرا.. اتركيه فحسب.

لن يفهم أبي ذلك، فهما حليفان، وهو قوة وبطش.

إذن لا تمنحه الذهب،

أنا بالفعل لا أمنحه الذهب.

إنني لست سعيدة معه،

وهذا ما يجعله يضج مني.

والآن ماذا ستفعلين؟

لا أعلم، ولكن ما أعلمه فقط أنني أحبك.

انتهى اليوم..

عادت إلى مملكة الجان،

ووضع هو القطعة الذهبية الثالثة بجوار الأخيرتين،

وجلس يفكر فيها خوفًا عليها

من بطش أبيها وزوجها،

تمنى أن بعد عنه بعد أن كان سيجن جنونه عليها،

لا يعلم ماذا يفعل، شاردا بفكره،

يرفع رأسه ليجد أمامه زوجها.. يشتعل اللهب من كل جانب كهالة تحيط به، تعجب وفزع مما رآه،

ماذا تريد؟

أين الذهب؟

لا أعلم عن ماذا تتحدث؟

أنت تعلم جيدا عن ماذا أتحدث. ابتعد عني يا جني وإلا أحرقتك.

يضحك مقهقها أنا النار ذاتها،

أنا من سيحرقك ويحرق مملكتك كلها.

رد الملك عليه: أنت ضعيف، لم تستطع أن تجعلها تحبك.

يمسك به وبغضب شديد كاد أن يحرق جسده، ولكنه ابتعد عنه،

مسك بالماء وقذفه بوجهه معتقدا أنه سينطفئ،

فأحرق له فراشه ثم رحل.

ظل طوال الليل يفكر..

ما الذي سيفعله؟

توصل لفكره ربما تصلح،

وتنجو بنفسها من بطشه،

ظل يتكتك لخطة تريحه من ذلك كله..

جلس ينتظرها وهو يعلم أنها ستأتي.

أول ظهور لها كان لبحث الخطة..

بالفعل اتفقا على كل شيء،

وذهبت لتنفيذها، اختفت أكثر من المدة المتفق عليها، ظل ينتظر عودتها بكل شغف وقلق،

يشغل نفسه بأي شيء يبعده عن التفكير،

هل نجحت أم فشلت؟

السؤال الملح، لا يملك إلا الانتظار،

يأس، ولكن ما يريح قلبه أن زوجها لم يأته.

ذهب في رحلة صيد مع حراسه، وأثناء عودته ليلاً ظهرت له علامات، شعر انها هي.. ظل مستمرا بطريقه ولم يتوقف، كان معه كلب ظل ينبح طوال الطريق،

كان متأكدا أن هناك أمر ما،

كن لم ير شيئا،

وصل القصر، ترك كل شيء وصعد غرفته، ظنونه كانت بمحلها، وجدها تنتظره؟

ماذا فعلت؟

كما اتفقنا وهل نجح الأمر؟

بلى.. كل شيء تمام،

أين وضعتها؟

أسفل السافلين.

وأين هذا المكان؟

باطن الأرض.

أتمنى أن لا يعثر عليها.

لن يعثر عليها.

لماذا أنتِ واثقة لهذا الحد؟

غيابي كان للحصول على مادة تجعله لا يعثر عليها بسهولة، اطمئن قلبي.

والآن ماذا سنفعل؟

سآتي كلما سنحت الفرصة.

وزوجك؟

إنه تائه بين أفكاره، لم يعد يهتم لأمري.

رد الملك: هذا ما كنت أصبو إليه،

أعتقد أننا نجحنا.

يوم وراء يوم تأتي إليه وتترك له الذهب، وهو يجمع الذهب والآخر

يبحث عن مزاميره.

ظل الحال لعدة أشهر حتى يمل الزوج من البحث،

والتفت لزوجته وغيابها طوال النهار، شك بالأمر، ذهب إلى القصر ليجدهما معًا..

اشتعل بشكل ما لم تره زوجته من قبل،

صوت اللهب والحمم تتأجج، نار بعينيه وجسده تكفي لحرق البلدة بكاملها، أحضر الذهب من مخبأه، ووضع أمامهم، ووجه إليه لهب النيران المشتعلة حتى ذاب وانصهر.. وهي والملك يتابعانه بذرع لا يوصف. أرادت الهروب معه، لكنه أحاطهما بالنيران من كل جانب،

أحضر الذهب المنصهر المغلي ووضعه عليهم وهما يصرخان من شدة الألم، تجمدا، صنع منهما تمثالين من الذهب، حملهما إلى حديقة القصر ووضعهما أمام أبوابه ليكونا عبرة لمن يعتبر..

لا يعلم أحد أين اختفى الملك!

وما سر التمثالين اللذين ظهرا فجأة بالمملكة!